في اشكاليات الدرس النحوي
دراسة موضوعية

للدكتور / أمين عبد الله سالم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه ، وبعد :

فقد شاء الله لهذا البحث أن يكون على مقربة من قضية النحو فكرة ومنهجا وكتابا ، مذ درج حتى استوى .

واذ كان النحو هذه جميعها فقد رصد البحث شيئا من اشكالياته التى صاحبته المسيرة ، أو برزت له فى مرحلة منها ، وكان من ورائها يقظة فكر ، ولربما كان الهوى على قيد أنملة فى شىء منها ، والأمر جد فسيح فسحة الزمن الممتد على ذاكرة الطرح النحوى ، وطموحاته ، وهمومه .

وعلى فسحته اجتهد البحث أن يدنو ، وأحسبه قد دنا من مدرجة هذا الصراع حتى درج عليها ، وارتحل منها مسافة ، وكان له مع مواكبه وقفة تطول أو تقصر ، أو مسيرة تشتد أو تلين .

بين يدى الطريق وقف البحث عند اشكالية التصنيف ، بل ما قبله يتحسس ما كان منهم فى محاولات حلول لمشكلات اللسان ، أو النحو فى تهذيب أو تقريب ، وسوق الفكرة معافاة من ابهام أو التواء ، أو صياغة لمصطلح أو قاعدة .

وقد حمل المطلون على الثقافات الاجنبية ورموا النحو العربى بالتقليدية والمعيارية ، ـ وهذه من وجهتهم مرفوضة ـ فوقف البحث من جهده على هذه الاشكالية ، وتاكد له أن النحو العربى قد التقت فيه ما

يطمح اليه من نظريات حديثة ، ولا تنقصه النظرية ، اذ هو يقدم النظرية المثالية فى التناول والتأسيس وفى الموضوع كذلك .

واذ يتهم الوصفيون النحو لمعياريته ، ومن أدولتها (العلة) ، وهذه من أعلى الصيحات التى جوبه بها من قديم وحديث فتهدى البحث ميران كل ذلك ودرجته ملوحا بالهيع الأقوم الذى ينبغى سلوكه .

ولم يكثر حديث عن نظرية كما كثر عن (العامل) ، اذ كان بناء النحو عليه ، وعلى مقتضاه ، وقد آض أشكل بعد وجه من الوصفيين الرافضين لفكرته ، وقد وقف البحث عند أول من هجس بهذا الخاطر ، وقد تبعه خلق ، وفند هذا الفهم عنه ، مؤكدا ألا أساس له يخالف به معتقد النحويين ، كما اطمأن الى أن النظر فى (العوامل) قد غدا من أهم مسئوليات الدرس النحوى فى المدرسة الحديثة .

و (الاعراب) أثر العوامل فى التركيب اللغوى ـ على المفهوم الذى قرره البحث ـ والشكل الاعرابى ـ على ميزانه فى العربية ـ استشكل ، بل استشكل النحو من سبيله وتشكك فى وظيفة حركاته من قديم ، ودعى الى التحرر منها فى الحديث ، فلزم على البحث أن يتوقف عند هذه الاشكالية مزيلا ما يكتنفها من شكوك ، ولبس .

ولما لم يكن من اللازم أن تؤدى التراكيب بصورتها الاصلية ، فقد يستغنى عن بعض مقوماتها لداع ، فتحذف أو تقدر ، وهى على مقربة من مخيلة المستعمل وذهنه ، وهذا أمر تكفلت به منهجية (العامل) ومثالية التراكيب ، وحيث استشكلت نظرية (العامل) فقد استشكل ما ينجر عنها ، فلا حذف ولا تقدير ، ولرافضيه معتمد من نصوص وآراء ، وقد حقق البحث هذه الآراء مبرئا أصحابها من ساحتها ، أو من بعض ما فهم عنهم ذلك ، مثبتا أن القول بالحذف والتقدير هو توجه قرره النحاة على لغة العرب من قديم ، والتقت معه أحدث النظريات فى الدراسة اللسانية .

وقد أنهى البحث بوقفة مع اشكالية حملت كثيرا على النحو والنحاة، اذ كانت من أثر (العلة) ، أو فى مشعب منها : فالخلاف النحوى أثر علة ، أو نص معتمد ، وهما وراء هذا الركام من الخلاف النحوى ، وقد أثير حوله الكثير ، وقد بين البحث أن من العسف التعجيل فى نظر الأسباب ، فمن وراء ذلك أسباب خاصة ، وطبيعة معقولة عاونت على الخلاف النحوى وقد فصلها البحث مطمئنا على أن الخلاف آية على تجدد الفكر وثرائه .

والله من وراء القصد

بين يدى البحث (اشكالية المصنف والقاعدة)

عقل النحويون وظيفة النحو رسالة تعليمية توجيهية ، قصد بها الارشاد الى موافقة العرب فى كلامها الصحيح (١) ، فالنحو : (انتحاء سمت كلام العرب فى تصرفه من اعراب وغيره ... ليلحق من ليس من أهل اللغة بأهلها فى الفصاحة ، فينطق بها - وان لم يكن منهم - وان شذ بعضهم عنها رد به اليها) (٢) .

ولقد كان الباعث الحثيث من بواعث الاشتغال به صون القرآن العزيز ان يمسه لحن من انحراف لسان ، أو أن يشوبه ما شاب اللاهجين بالعربية من عجمة وزيغ ، فكانت النواة التى بزغت وسمقت ، وأثمرت ، وأظلت ، وان اكتنفها الكثير الكثير من عوالق نمت حولها حتى أثقلت مئونة الطريق الى الهدف .

وما فتئت همة الباحثين مذ وجهت الى النحو ، ووعت طريقه تتلمس من الاسباب ما يخفف من أعبائه ، ويذلل من نفاره ، ويوجه الى الحلول مع تبعاته ، وقد عهدنا فى الفكر النحوى التجدد دائما ، بقدر ظروفه ، وظروف شداته ، يرصدون ، ويحاولون ، ويقررون ، والثمرة من وراء كل ذلك حلول أو تهذيب ، أو تقويم ، ان فى منهج أو فكر ، أو تأسيس .

والبحث بصدد القاء بصيص من ضوء على بعض اشكاليات صادفت مسيرة الجهد النحوى قديما ، أو حديثا . وكان للبحث النحوى حيالها وقفة ، أو موقف حسب ما تقتضيه طبيعة الاشكاليات ، وفرضية الحلول .

ونذكر فى البدء باشكالية الحركة ، وما كان لأبى الاسود من

---

(١) انظر دراسات فى اللغة والنحو ص ٥٩ .
(٢) الخصائص ١/٣٤ .

محاولة فى تذليلها ، وانتجاع الحل المثالى - بمقياس زمانه - فى (النقط) المعروف ، وتلميذه نصر بن عاصم يحل اشكالية صورة الحرف الملبس فى الهجائية العربية ، اذ كانت رسوم اصواتها ستة عشر رسما (٣) - دون سائر اللغات - ، ففيها يشترك أكثر من حرف فى رسم واحد ، فميزها عاصم بما عرف بنقط الاعجام ، وزال الاشكال الملبس من الحروف المتشابهة رسما ، كالباء ، والتاء والثاء ، وغيرها (٤) ، ثم كتابان ينسبان لعيسى بن عمر (الجامع والاكمال) ، وبلغت - من بعد - الدراسة النحوية على يد الخليل مؤسس العلوم الشاو البعيد ..

وقد سجل سيبويه علم شيخه الخليل فى كتابه ، وبالكتاب تؤرخ اخطر مرحلة فى مسيرة النحو والنحاة ، أو أبرز محاولة فى حلول الاشكالية اللسانية ، وقد تمالأت على ابرازه جهود سبقت صاحبه ، ناسعدت على تشكيله وتلوينه ، وقد رزق الرضا الأوفى ، كما لم يرزق كتاب فى بابه ، حتى استحوذ على كل طموح العلماء ، فلا سبيل الى زيادة عليه من مضيف ، وجل طموحاتهم تعلقت به فى اقراء ، أو تعليق ، أو نقد ومناقشة ، أو تناول بوجه من الوجوه .

واذ كان الكتاب أول محاولة شاملة فى النحو لم يبدأ من عفوية الريادة ، فى غموض ، أو انغلاق ، والتواء فقد حمل الناس على الكتابة فيه ، يقول ابن كيسان : (نظرنا فى كتاب سيبويه فوجدناه فى الموضع الذى يستحقه ، ووجدنا الفاظه تحتاج عبارة وايضاح ، لانه كتاب الف فى زمان كان أهله يألفون مثل هذه الألفاظ ، فاختصر على مذهبهم) (٥) .

وليس غريبا من بعد ان يولى النحاة الكتاب ما يستحقه فى شرح

---

(٣) هى (ا ب ح د ر س ص ط ع ق ك ل م هـ و ى) ، ويقرر الباحثون ان لليونانية ومثلها للاتينية . وعشرون للفرنسية . انظر : الاسبق .

(٤) انظر الدراسات ص ٦٦ .

(٥) مقدمة الكتاب ص ٣٠ .

أو تعليق ، أو تفسير لشواهده وأبنيته حتى جاوز ما ألف خصومه الخمسين (٦) .

وان يكن هذا الاهتمام بالكتاب تقويما له ، وكشفا ، فقد جدت محاولات أخرى كثيرة لتهذيب المصنف النحوى ، والغاية من ورائها معالجة تقصيرا أو قصور فيه ، والتغلب على مصاعبه ، وتطويعه لطالبيه ، ولم يقيد هذا بزمن ، وان كان لكل زمن أعرافه وسماته ، فكانت صور التهذيب المختلفة .

وكان الرغبة فى التيسير كانت رغبة لحوحا لاعلام النحو ورجالاته ، وأصحاب موسوعاته ، فاوقفوا من جهودهم على التهذيب ، والاختصار ، فكان منهم المختصرات ، والمهذبات ، والمقدمات . على ما رأيناه ، أو حملته عنهم كتب التاريخ ، وكثير من السبب فى ذلك الاخذ بيد عموم الناس الى لغة القرآن العزيز ، وتحقيق طلبة الطامحين من غير المختصين ، كما كانت هذه المختصرات (لاعانة المعلمين على أداء عملهم ؛ واعانة الدارسين على الالمام العام الميسر لمسائله) (٧) ، فوجدناها أول مرة عند الكسائى (١٨٩) ، واليزيدى (٢٠٣) ، والجرمى (٢٢٥) ، وابن قادم (٢٥١) ، وخلف الاحمر (٢٨٩) وغيرهم كثير (٨) ، حتى يومنا (٩) .

يقول خلف الاحمر فى مطلع مقدمته : (لما رأيت النحويين ، وأصحاب العربية قد استعملوا التطويل ، وكثرة العلل ، واغفلوا ما يحتاج اليه المتبلغ فى النحو من المختصر امعنت النظر فى كتاب أؤلفه ، وأجمع فيه الاصول والادوات والعوامل على أصول المبتدئين ، ليستغنى به المتعلم

---

(٦) انظر الفهرست ص ٨٩ .
(٧) المستوى اللغوى ص ٤٤ .
(٨) انظر كتابنا تجديد النحو ص ٧ .
(٩) للاستاذ عبد المتعال الصعيدى ؛ تجربته فى ٢٨ صفحة من القطع الصغير .

عن التطويل ، فعملت هذه الاوراق ، فمن قرأها ، وحفظها ، وناظـــر عليها علم أصول النحو كله) (١٠) .

ويقول عبد القاهر فى مقدمة مفتاحه : (هذا كتاب قليل الافاض ، كثير المعانى ، سهل للحفظ ، قريب التناول) (١١) .

فغاية المختصر ادناء النحو لمريديه باقرب طريق ، ولادراك هذه الغاية سهلت عبارته ، واكتفى فيه بالمهم من قواعد ، وتعريفات (١٢) ، وبعامة كانت فلسفة الاختصار والتهذيب ألصق بمنهج النحو فى رسـالته التعليمية ، كما كانت حلا لاشكالية مصنفاته الطوال الباهظة الكلفـــة ، بعيدا عن هذه الدراسات الصاخبة المتراكبة التى ينوء بها كاهل المختصين، فضلا عن شدفة واقعين .

وكما وجه الجهد لتقويم طول المصنف وتهذيبه فقد رصد كذلك الكثير منه لصوغ القاعدة صياغة علمية منظمة ، وتهذيب المطلقات العامة كمـا (فى التعريفات ، والتقسيمات ، وحصر النماذج) (١٣) .

والمصطلحات النحوية المعروفة بعد سيبويه من قريب ، أو مـــن بعيد ، قد لا يتيسر الوقوف عليها فى كتابه ، اذ يستغنى عنها بالدوران حول القضية من غير تحديد ، مثل قوله : (هذا باب ما ينصب من الاماكن والوقت ، وذلك لانها ظروف تقع فى الأشياء ، وتكون فيها ، فانتصب لانها موقوع فيها ، ومكون فيها ، وعمل فيها ما قبلها ، كما أن العـــلم اذا قلت : (أنت الرجل علما) عمل فيه ما قبله ، وكما عمل فى الدرهم (عشرون) اذا قلت : (عشرون درهما) (١٤) . وقد صيغ ذلك فيما

---

(١٠) مقدمة فى النحو ـ لخلف الاحمر ص ٣٤ .
(١١) المفتاح فى الصرف ص ٢٦ .
(١٢) الدراسات النحوية فى بلاد فارس ص ٤٥ (رسالة) .
(١٣) تطور الدرس النحوى ص ٣٩ .
(١٤) الكتاب ١/٤٠٣ ـ ٤٠٤ .

بعد بالمصطلحات : (ظرف الزمان ، وظرف المكان ، والتمييز) (١٥) .

ومن مثل قوله : (هذا باب الفعل الذى يتعدى اسم الفاعل الى اسم المفعول ، واسم الفاعل والمفعول فيه لشيء واحد ، وذلك قولك : كان ، ويكون ، صار) (١٦) . وقد اصطلح عليه من بعد بـ (كان وأخواتها) . وكقوله : (هذا باب ما يعمل عمل الفعل ، ولم يجر مجرى الفعل ، ولم يتمكن تمكنه ، وذلك قولك : ما أحسن عبد الله) (١٧) . وقد صيغ لذلك (باب التعجب) . وقوله : (هذا باب ما يكون فيه الاسم مبنيا على الفعل قدم أو أخر ، وما يكون فيه الفعل مبنيا على الاسم) (١٨) . وقد اصطلح من بعد على تسميته : (باب الاشتغال) .

وللمصطلح قيمته العلمية البالغة عند ارباب الفنون . (واكثر ما يحتاج اليه فى تحصيل العلوم المدونة ، والفنون المروجه الى الاساتذة هو اشتباه الاصطلاح ، فان لكل علم اصطلاحا خاصا به ، اذا لم يعلم بذلك لا يتيسر الشارع فيه الاهتداء اليه ، والى انفهامه دليلا) (١٩) .

ولم تغب اشكالية التصنيف فبرزت كتب قدمت المادة النحوية واضحة مستقيمة التنظيم ، جلية التصنيف ، كما تكفل بعضها بالكشف عن خواص النحو ، وأسراره ، أو تفسير قواعده :

فالمبرد فى مقتضبه - (مع تقيده بما جاء فى الكتاب من مادة ، وأحكام وآراء وتمثيل) - يبذل جهدا كبيرا فى استخلاص القاعدة ، النحوية ، والتركيز عليها ، وفيه تظهر بواكير (الاصطلاحات) النحوية المصقولة ، والصياغات العلمية المتطورة ، كما تظهر وحدة الموضوع

---

(١٥) تطور الدرس النحوى ص ٤٤ .
(١٦) الكتاب ١/٤٥ .
(١٧) نفسه ١/٧٢ .
(١٨) نفسه ١/٨٠ .
(١٩) كشاف اصطلاحات الفنون ١/٢ ، وانظر التعريفات ص ٥٠ .

بمحاولة تجميع المسائل المتشابهة ، وسلكها فى ضبط واحد (٢٠) .

وابن السراج فى (اصوله) ينتهج طريقا مبتكرة فى سياقه ، فيقسم موضوعاته النحوية ـ فى مجملها ـ حسب تقسيم الكلمة : الاسم ، والفعل ، والحرف ، ويفرد للتصريف قسمه الخاص به (٢١) .

وابن جنى فى (خصائصه) يدرس الاصول النحوية ، ويعلل الظواهر اللغوية ، ويستخلص القوانين العامة للنحو واللغة بما يعد الطريف الجديد .

ولا تفتقد من وراء ذلك جهودا أقت التسهيل والوضوح ، فوضعت المصنفات التى تراعى هذا ، وتحرص عليه ، وربما حملت ما يلمح بهذا القصد من عناوين كالواضح ، والايضاح ، والموضح ، والتوضيح وكشف المشكل ، وغيرها كثير .

ولسنا هنا بطبيعة الحال نؤم الى غير نماذج تترجم عن التصدى لاشكالية تقديم النحو فى شكله ، وتلمس الحلول المدنية منه ، والمؤنسة به ، والنحويون فى ذلك ما ونى منهم جهد ، أو فترت لديهم عزيمة ، وأحسب ـ وقد سقنا نماذج ـ أن من حق الزمخشرى أن نسجل له انتقالة واضحة بالمنهج ، مادة ، وتصنيفا ، اذ تراه يزن حاجة المتلقى ، فيؤمه بما يحتاجه دون افراط أو تفريط .

يرى جار الله أن أهم ما يعوز المستوفز العجل التمييز بين المفرد والمركب فيجعلهما مرتكز كتاب له صغير : (المفرد والمؤلف) ، والحديث عن اللفظ المفرد ، واحوال المركب اللغوى دونما افراط فى استطرادات ، أو استشهادات ، أو تعليلات :

فالمفرد : اسم وفعل وحرف ، وتحت كل واحد منها فروعه .

---

(٢٠) انظر تطور الدرس النحوى ص ٦٠ .
(٢١) انظر : الدراسة النحوية فى بلاد فارس ص ١٩٩ (رسالة) .

والمؤلف : من اسمين ، أو من فعل ، واسم ، أو من حرف واسم . وغيرها ، وهو من خلاله كانه يسوق طريقة جديدة للتصنيف (٢٢) ، وغايته ـ كما نقصد ـ تقريب النحو ، وتذليله ، وترويضـــه ، قال : (توخيت فيه قيد الأوابد ، وصيد الشوارد ، وتقريب ما يبعد عن الفهم ، وتسهيل ما يصعب الا على الشهم ، وضمنت لمن يضبط هـــذا الترتيب ، ويحذق هذه الأساليب أن يضرب له مع المعربين بسهم الفارس ...) (٢٣).

وكأن هذا المنهج كان مقدمة لكتابه (المفصل) ذلك الذى يعـــد انعطافة هامة فى التصنيف النحوى بعد كتاب سيبويه ، وان رأينا مـن (أصول) ابن السراج عليه ملامح ، ومعالم لا تنكر ، اذ كان التاسيس ـ فى العموم ـ على أساس النظرة الشاملة (الاســـماء ، والافعـــال ، والحروف ، والمشترك) ، قال : (وصنفت كلا من هذه الاقسام تصـنيفا ، وفصلت كل صنف منها تفصيلا ، حتى رجع كل شىء فى نصابه ، واستقر فى مركزه) (٢٤) .

وقد يعد للزمخشرى فى تصنيفه هذا انه تخلى ـ غالبا ـ عن كل ما يشوب المادة النحوية من الحشو والاستطراد ، وذكر الخـــلافات ، والتعليلات الجامحة ، تلك التى حفلت بها الوفرة من المصنفات السابقة ، وأورثت اشكاليتها ، أو اشكالية النحو معها (٢٥) .

ولا تنكر المحاولات النابهة لابن مالك فى مدرسته ، وابن هشـــام فى كتبه ، وغيرهما ، وكما ألمحت قبلا فليس من أسس هذا البحث حصر للنماذج ، أو المقارنة ، بل التمثيل ، والتذكير بأن الموهبة النحوية لم تفتر

---

(٢٢) السابق ص ١٧٢ .
(٢٣) المفرد والمؤلف مجلة المجمع العلمى العراقى م ١٥/١٠٠ عـــن الســـابق .
(٢٤) شرح المفصل ١/١٧ .
(٢٥) انظر : تطور الدرس النحوى ص ١٠٢ .

عن نشدان الطريق الواضحة لازجاء الفكر النحوى ، وعرض قواعـــده وقوانينه ، وما يعين عليها ، والاختلاف فى الطريقة بطبيعة الحال وارد ، ولكنه يفصح ـ فى كل الأحوال ـ عن حسن المقصد ، واستواء الهـــدف حيال بعض مسئوليات النحو ، وتلمس الحلول فى شكل أو فى فكر ، أو موضوع ٠

التقليدية أو المثالية (اشكالية منهج)

على أثر اتصال الدارسين بروافد الفكر فى ينابيعه المختلفة تأثرت مناهج الدرس النحوى بمثيلتها عند الغربيين وسيأتى أن المنهج الوضعى كان ذا سطوة على البحث النحوى ، حتى حل ـ أو كاد ـ المنهـــج التحويلى ، وعاد الأوسع انتشارا على ساحة الدراسة النحوية واللغوية ، وقد تردى الكثير من باحثينا الذين هيئت لهم اطلالة على هذه المناهج ٠ تردوا عباءة المنهج الوضعى ، ووجهوا الى المنهج العربى انتقادات أهمها أنه تقليدى (معيارى) ، لصدوره عن تصورات عقلية ويفرق بينهما ٠

ـ بأن النحو التقليدى (المعيارى) يحدد قواعد اللغة بناء على فهم المعنى أولا ، وأما النحو الوضعى فيحلل التركيب اللغوى على أساس ارتباط الظاهرة بالظواهر الأخرى ٠

ـ والنحو المعيارى يهتم بمعرفة (العامة) ، أما الوضعى فانه يقرر الحقائق اللغوية حسبما تدل الملاحظة دون محاولة تفسيرها بتصورات غير لغوية (٢٦) ٠

وقد روج الباحثون للمنهج الوصفى بحسبه الوسيلة العلمية الصحيحة لدراسة الظواهر اللغوية كما هى ٠ ومهمة الباحث فى اللغة أن يصف ما أمامه فيستقرئه حاكما عليه بموضوعية ، دون تجاوزه بوصفه بجودة ، أو برادءة ، اذ فى ذلك تدخل فى مهمته الوصفية بما يتعلق بآرائه الشخصية ،

---

(٢٦) انظر : النحو العربى ص ١٠٩ ٠

أو احساسه تجاه الاستعمال ، وهذا لا علاقة له بوصفه اللغة ، (وهو مرفوض من وجهة النظر الحديثة) ، فدور الباحث دور من يقوم بوصف نشاط يؤديه الناطقون ، وكيفية هذا الأداء وأسسه ، وليس دوره وضع قواعد يصب فيها نشاط المتكلمين باللغة ، فما وافقها فهو صواب ، وما خالفها فهو خطأ .

فهذا الموقف ـ علاوة على أنه تحكمى ـ فيه تجاوز لعمل الباحث ، وهو (الوصف) الى اتخاذ موقف الناطق وهو (المعيار) . وفرق بين معيار الباحث ، ومعيار مستعمل اللغة : الاول تحكمى ذو سلطة ، والثانى تلقائى ولا سلطة فيه .

فالبحث فى اللغة الآن يتناقض مع المنهج المعيارى ، فهو يقصر همه على وصف ما يدخل فى الامكان من صور الاستعمال فى الماضى والحاضر فقط دون فرض نتائجه فى المستقبل (٢٧) .

ولا ضير بعد ذلك أن تتعدد وجهات النظر ، وتختلف المحصلات باختلاف نظر الباحث وأدواته . اذ (لما كان اللغوى ، أو النحوى واصفا محللا دارسا لشىء منظم بطبعه جاز أن يختلف تقرير هذا الوصف والدرس والتحليل من عالم لعالم حسب الاسس التى يقيم عليها درسه ، والمناهج التى يتبعها والوسائل التى يصطنعها) (٢٨) .

والنحو مسألة خاصة بالشكل اللغوى ، والتحليل النحوى ينبغى أن يكون جزءا من هذا الشكل اللغوى ، والوصف النحوى على أساس المعنى ، أو على أساس مستوى من المعنى غير المستوى النحوى أمر لا شأن له بالنحو (٢٩) ، فقواعد اللسان يجب أن تكون وصفية لا معيارية (٣٠) .

---

(٢٧) راجع : المستوى اللغوى ص ٩٥ ـ ٩٦ .
(٢٨) علم اللغة ص ٤٤ .
(٢٩) السابق ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ حاشية (عن جونز) .
(٣٠) ائمة النماة فى التاريخ ص ١٠ .

واذ انشغل الباحثون بهذا المنهج ومفاهيمه زمانا ، والى يومنا ، وكان باعث انتقاد كثير منهم لمنهج النحو العربى بحسبانه تقليديا معياريا ، فنحسب أن هذا التوجه يعوزه فضل من نظر ، فليس النحو العربى معياريا حسب ، بل هو معيارى وصفى تحويلى على احدث ما توصل اليه علم اللغة ـ على ما سنرى ـ ، ويرشد الى ذلك :

● أن أول عمل نحوى يعد كان لابى الاسود فى ضبط النص القرآنى (نقط المصحف) ، وهو عمل وصفى محض ، ولانه قائم على الملاحظة المباشرة لقراءة النص ، فقد قال لكاتبه : اذا رأيتنى قد فتحت فمى بالحرف فانقط نقطة فوقه الى أعلاه ، وان ضممت فمى فانقط نقطة بين يدى الحرف ، وان كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف) . وهذه صورة تمثل قارئا يقرأ ، وكاتبا يلاحظ حركة شفتيه (٣١) .

● أن سيبويه ومن حذا حذوه وضح فى أعمالهم المعيارية الصارمة : (وزعم الخليل ـ رحمه الله ـ أنه يجوز أن يقول الرجل : هذا رجل أخو زيد) اذا أردت أن تشبهه بأخى زيد ، وهذا ضعيف قبيح لا يجوز الا فى موضع الاضطرار) (٣٢) ، و : (وزعم يونس ان قوما من العرب يقولون : (أما العبيد فذوعبيد) و (أما العبد فذوعبد) ، يجرونه مجرى المصدر سواء ، وهو قليل خبيث)(٣٣) ، كما لم تخل أعمالهم من هذه (الوصفية) ، بل قيل : (ان سيبويه أقدم الوصافيين لنحو العربية مما وصلتنا مؤلفاتهم كاملة) (٣٤) ، وانظر مثل قوله : (فهذا تمثيل .. ولا يتكلم به) (٣٥) ، : (وسمعنا بعض العرب الموثوق به يقال له : كيف أصبحت ؟ فيقول : حمد الله وثناء عليه) (٣٦) ، : (وسألنا

---

(٣١) انظر : النحو العربى ص ٥١ .
(٣٢) الكتاب ١/٣٦١ .
(٣٣) نفسه ١/٣٨٩ .
(٣٤) أئمة النحاة فى التاريخ ص ٥٨ .
(٣٥) الكتاب ٢/١١٨ .
(٣٦) نفسه ١/٣١٩ .

العلويين والتميميين فرأيناهم يقولون : من قديديمة ، ومن وريئـــة ، لا يجعلون ذلك الا نكرة ، كقولك : صباحا ومساء وعشية وضحوة ، فهذا سمعناه من العـــرب) (٣٧) ، (فأجـــره كما أجـــرته العـــرب ، واستحسنته) (٣٨) ، : (وحدثنا يونس أن بعض العرب يقول : يا أم لا تفعلى ، جعلوا هذه الهاء بمنزلة هاء طلحة ، اذ قالـــوا : يا طـــلح أقبل) (٣٩) ، وغيره وافر يشيع فى الكتاب ، وهو ترجمة دقيقة لهذه الوصفية التى سبت فكر الكثير من الدارسين ـ كما رأينا ـ ، بل قـــد ترى سيبويه يصرح بهذه الوصفية من نحو قوله : (فهذا وجه فعلت ، وفعلت مبينا فى هذه الابواب ، وهكذا صفته) (٤٠) . ومثله لا يفتقد من الكتاب وغيره .

● أنه سيأتى أن منهج مدرسة الكوفة أقرب الى منهج المدرســـة الوصفية الشكلية ، حيث يقنعون من كثير من الاداءات اللغوية بظاهرها دون تأويل بحذف ، أو تقدير ، من نحو اقرارهم اضافة الشىء الى ما هو بمعناه ، متى اختلف اللفظان تنزيلا لاختلاف اللفظ منزلة اختـــلاف المعنى ، وكذلك مباشرة الشرط للاسماء دون تقدير فعل ، وانتصـــاب المضارع بعد الفاء ، والواو ، وأو دون تقدير (أن) اكتفاء بالصـــورة ـ على ما سيأتى ـ .

وان تكن هذه الوصفية ، وروادها قد انبرت للنحـــو العـــربى ، لمعياريته ، وقد وجدنا ملامحها (الوصفية) لا تفتقد فى الكثير مـــن شعابه ، فان عدم اغفال النحو العربى جانب المعنى يعد فى منهجه ، ذلك الجانب الذى لا يأبه له الوصفيون ، فى حين تعده المدرسة التحويليـــة من أبرز ملامحها ، وهذه (الجوانب التى كانت موضع نقد عادت الآن

---

(٣٧) نفسه ٣/٢٩١ .
(٣٨) نفسه ٢/١٢٤ .
(٣٩) نفسه ٢/٢١٣ .
(٤٠) نفسه ٢/٦٥ .

لتكون أسسا ضرورية فى البحث النحوى) (٤١) ، وانظر بناء النحو ، وتقسيماته صيغا ، وتراكيب وحروفا تجد النظر الى المعنى لا يزايل مخيلة البحث النحوى ، وعمله ومثل هذا لا يفتقر تأكيدا ، فهو شائع معاين ، وخذ من سيبويه : (هل ٠ وهى للاستفهام ، و (لم) وهى نفى لقوله (فعل) ، و (لن) وهى نفى لقوله (سيفعل)) (٤٢) ، (وأما (فى) فهى للوعاء ٠٠ وأما (عن) فلما عدا الشىء ٠٠٠ و (قط) معناها : الاكتفاء ، و (مع) وهى للصحبة)) (٤٣) ، (وقالوا : مؤتت ، وقومت : اذا أردت جماعة الابل وغيرها ، وقالوا : يجول ، أى : يكثر الجولان ، ويطوف ، أى يكثر التطويف واعلم أن التخفيف فى هذا جائز ، كله عربى ، الا أن (فعلت) ادخالها ههنا لتبيين الكثير ، وقد يدخل فى هذا التخفيف ، كما أن الركبة والجلسة قد يكونان معناهما فى الركوب والجلوس ، ولكن بينوا بها هذا الضرب ، فصار بناء له خاصا ، كما أن هذا بناء خاص للتكثير ، وكما أن الصوف والريح قد يكون فيهما معنى صوفة ، ورائحة) (٤٤) ، و : (لكنه يترك استغناء بما يحسن من الفعل الذى لا ينقض المعنى) (٤٥) ، و : (اعلم أنك اذا أردت هذا المعنى فتقديم الاسم أحسن) (٤٦) ، بل اسمع : (هذا باب اللفظ للمعانى : اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين) (٤٧) ، وغيره كثير ٠

ولحظ المعنى فى الدراسة النحوية من أهم مظاهر أشيع مدرسة

---

(٤١) النحو العربى ص ١٦٠ ٠
(٤٢) الكتاب ٤/٢٢٢ ٠
(٤٣) ذاته ٤/٢٢٦ ، ٢٢٨ ٠
(٤٤) ذاته ٤/٦٤ - ٦٥ ٠
(٤٥) ذاته ١/هـ ٣٤ ٠
(٤٦) ذاته ٣/١١٩ ٠
(٤٧) ذاته ١/٢٤ ٠

للتحليل النحوى ، وهى التحويلية (*) ، تلك التى تربط بين الشكل والمعنى ، وكان رواد المدرسة الوصفية يفصلونهما ، فأصبح الشكل والمعنى معا موضع اهتمام هذه المدرسة ، وفى هذا الاختلاف يكمن الخلاف الجوهرى بين أكبر مدرستين للسانيات (٤٨) ، وكان هذا من المغامز التى وجهت للمدرسة الوصفية ، يقول فندريس : (يخدع عالم اللغة الوصفى نفسه اذا ادعى أن تحليل البنية اللغوية يمكن أن يتم مثلا بدون الاشارة الى المعنى) ، ويؤكد العالم (فيرث) على أهمية المعنى السياقى بنفس الدرجة التى يؤكد بها أهمية القواعد النحوية ، وأن الوصف النحوى فى أى لغة من اللغات يجب أن يبدى بعض الملاحظات حول المعنى) (٤٩) .

وسيأتى القول : ان هذه المدرسة لا تكتفى بالشكل السطحى ، بل تتخطاه الى المعنى ، أو (البنية العميقة) . (ولما كانت البنية العميقة تعبر عن المعنى فى كل اللغات فانها تعكس أشكال الفكر ، وعلينا أن نعرف كيف تتحول هذه البنية الى كلام على السطح ، وهذا هو الاصل فى النحو التحويلى الذى يهتم بالقوانين التى تحدد البنية التحتية ، وتربطها ببنية السطح) (٥٠) . وعلى ذلك يكون هذا الفهم الدلالى للنظرية ، فهى نظرية أساسية لفهم الكلام ، والسامع ، فهى حقيقة عقلية يعكسها التتابع الكلامى الذى يكون البنية السطحية .

من هنا تربط البنية العميقة بالدلالات اللغوية ، أى أنها تحدد التفسير الدلالى للجمل ، فى حين ترتبط البنية السطحية بالاصوات اللغوية المتتابعة ، وتحدد التفسير الصوتى للجمل (٥١) .

(*) سيأتى لها توضيح جيد فى جزئية لاحقة .
(٤٨) أئمة النحاة ص ١٣ .
(٤٩) انظر : مجلة الفيصل / يناير ١٩٨٥ / ص ٥٧ .
(٥٠) الراجحى ص ١٢٤ .
(٥١) الألسنية ص ٢٦٨ .

لذا يرى الدارسون أشمل تعريف للنحو العربى أنه : (مجموعة من القواعد . والأنظمة التى تتحكم فى وضع الكلمات وترتيبها ، وصورة النطق بها عن طريق ما يطرأ على أواخرها من أشكال اعرابية مختلفة وفقا لما يراد منها من شرح المعانى والافكار الدائرة فى ذهن المتكلم ، شريطة أن يكون هذا المتكلم واعيا ومدركا للقوالب اللغوية المتعارف عليها ، وعلى مدلولاتها بين الناطقين بها) (٥٢) .

واذ تبين أن النحو العربى لا يغفل المعنى فى تحليلاته ، ذلك الذى عليه تأسيس صياغة التراكيب ، وهو العنصر الاهم فى المدرسة التحويلية لم يكن مقبولا النقد الذى وجهه الوصفيون الى النحو المعيارى ، التقليدى، والنحو الوصفى يركز على الواقع اللغوى وحده رافضا كل ما وراءه ، من مضمون ، ودون تلمس صيغة للمستقبل ، وقد عرفنا درجة مراعاة المضمون فى الدراسة المعتبرة ، كما سيأتى وجوب التقدير لما سيكون :

وكذلك يرى المحللون أن ما سمى بالنحو التقليدى كان أكثر اقترابا من الطبيعة الانسانية فى دراسة اللغة ، وما يأخذه الوصفيون على هذا النحو يراه التحويليون أصلا من أصول المنهج .

فقضية الأصالة ، والفرعية تلك التى شغلت مساحة واسعة فى التأسيس النحوى ، من مثل : (النكرة أصل والمعرفة فرع عليها (٥٣) ، والأصل فى الأسماء التنكير (٥٤) ، والأصل فى الاسماء الافراد (٥٥) ، والاصل فى الاشياء كلها التذكير (٥٦) ، والاصل فى التأنيث أن يكون بعلامة (٥٧) ، والاصل فى الصفات أن يفرق فيها بين المذكر والمؤنث

---

(٥٢) دراسات فى اللغة والنحو ص ٤٥ .
(٥٣) نتائج الفكر ص ٢١٦ .
(٥٤) كليات الكفوى ص ٨٨ .
(٥٥) الكتاب ١/٢٢ ، وابن يعيش ٣/٥٤ .
(٥٦) الكتاب ٣/٢٤٠ ، والمقتضب ٣/٣٥٠ .
(٥٧) الأمالى الشجرية ٢/٢٨٨ .

بعلامة (٥٨) ، والاصل فى الأسماء المختصة بالمؤنث ألا تدخل عليها التاء (٥٩) ، والاصل فى الصيغ ، والابدال من نحو : (قال . أصله : قول ، ازدان ، وأصله ازتين) ، والقلب المكانى . والنظر فى هذا وغيره من معالم الفكر النحوى ومشاعبه التى يؤسس عليها . (وكان الوصفيون يرون فى ذلك بحثا لا يعتمد على مبدأ علمى سليم (٦٠) ، غير أن المنهج التحويلى رأى أن قضية الأصلية والفرعية قضية أساسية فى فهم البنية العميقة ، وتحولها الى بنية السطح ، بل القول بالزيادة كذلك حيث يشيرون الى أن هناك تركيبات نظمية تدخل فيها كلمات لا تدل على معنى فى العمق ، وانما تفيد وظيفة تركيبية وقد تعد لونا من ألوان الزخارف (٦١) .

واذ قد اطمأن لنا أن منهج الدرس النحوى العربى معيارى ، وصفى ، تحويلى فهو بذلك يقدم الأنموذج لما تكون عليه الدراسات النحوية ، فكل هذه النظريات وجدت منفصلة عن الأخرى ، متدرجة فى التطور ، وقامت احداها على حساب الاخرى ، متأثرة بها ، او محتفظة بخصائصها ، وسماتها . على حين ألفيناها فى النحو العربى متآخية تشكل بترابطها منهجه العام ، ففيه تلتحم النظرية المعيارية ارهاصا لمستقبل لغوى ، والوصفية فى وصف الشكل القائم ، والذى عليه الاداء العربى ، والتحويلية فى ادراك هذه البنى العميقة ، وما لها من أثر فى تشكيل هذه الصورة السطحية ، وهذه فى مجملها تكون النظرة المثالية للطموح اللغوى ، يقول جاردنر : (يجب أن تمزج النظرة المعيارية بالدراسة الوصفية الصرفة ، واضعين فى الاعتبار أن اللغة فى أى لحظة من لحظاتها ليست فقط ما هو كائن بالفعل ، وانما ما سيكون فى المستقبل

---

(٥٨) الارتشاف ١/٢٩٤ .
(٥٩) الأشباه والنظائر ٢/٢٩٥ .
(٦٠) انظر : مثلا : دراسات فى علم اللغة/كمال بشر ـ القسم الثانى .
(٦١) انظر : النحو العربى ص ١٤٣ - ١٥٢ .

ايضا ، فاللغة حركة دائمة ، وفى تطور دائم) (٦٢) .

قد يجوز لنا ـ من بعد ـ أن نقرر شمولية المنهج للنحو العربى فى التناول ، ففيه ملامح كل ما سبق وفى التأسيس ، اذ عاونت طبيعته الخاصة ، وبيئته الخاصة كذلك على هذه الشمولية فى التكوين والانطلاق منه الى آفاقه الرحبة البعيدة ، وذلك منظور اليه فى ثقافته النقلية والعقلية وهى الثقافة المتاحة ابان النشأة ، والتطور ، له ، وللثقافة الاسلامية عامة ، وقد مكنته الثقافة النقلية من (الوصفية) الواضحة ، كما عاونته الثقافة العقلية على تجاوز الوصف الى التحليل والتفسير . (والذى لا شك فيه أن النحو العربى بامتلاكه هذين الاتجاهين استطاع أن يثبت صلاحية لا تنكر فى فهم طبيعة العربية) (٦٣) .

وفى الموضوع ، حيث كان همه فى دراسة التراكيب ، ومفرداتها ، وما يرتبط بكل ، والاصوات وخصائصها ، غير مغفل الدلالة ـ فى كثير من شئونه ـ (وهو بذلك يصل اللغة بالفكر ، ويعالج الشكل والمعنى ، وهذه الخصائص هى التى يهدف اليها التطور الحديث فى دراسة اللغة (٦٤) .

اشكالية (العلة)

تبين أن من أسس المنهج المعيارى (العلة) ، والمعيارية ملمح من ملامح نحونا العربى ـ كما عرفنا ـ والتعليل مما استشكله الوصفيون على النحو التقليدى والبحث عن العلة ، أو السبب ظاهرة طبعية فى كل مجتمع يبحث ويفكر ، والاتصال بها من وسائل الفكر نتيجة الاهتمام بالحقائق العلمية والتفكير فيها .

---

(٦٢) انظر : المستوى اللغوى ص ١٣ .
(٦٣) الاسبق ص ١٥٩ .
(٦٤) ذاته ص ١٦٠ .

ويقصد بالعلة عند النحاة : تلمس حكمة لما نطقت به العرب كما يلتمسها الفقهاء فى حكمة التشريعات الاسلامية (٦٥) .

وقد ارتبط الدرس النحوى مذ وجد بالعلة حتى شاع عن نحاته أنهم معللون ، فعبد الله بن ابى اسحاق (اول من بعج النحو ، ومد القياس وشرح العلل) (٦٦) ، والخليل (استنبط من علل النحو ما لم يستنبطه احد وما لم يسبقه الى مثله سابق) (٦٧) .

وقد عادت ظاهرة التعليل من أهم مظاهر الدرس النحوى ، أو أهمه على الاطلاق (حيث استطاعت بما لها من اغراء ان تستحوذ على عقلية النحاة ، وتستنفد الكثير من طاقاتهم ، وتتغلغل فى المسائل النحوية كلية كانت أم جزئية ، وتصير تلقائيا النمط المميز ، والطابع العام لثقافة العصر وانتاجه) (٦٨) .

وقد نلحظ العلة فى بواكيرها اجتهادا فى تفسير الظاهرة ، دون قيد بعلة خاصة ، أو تسلط فى تفسير ، او قهر فى تاويل ، والخليل الامام يسال عن العلل التى يعتل بها فى النحو :

(أعن العرب أخذتها ، أم اخترعتها من عند نفسك ؟ فقال :

ان العرب نطقت على سجيتها ، وطباعها ، وعرفت مواقع كلامها ، وقام فى عقولها علله ، وان لم ينقل ذلك ، واعتللت أنا بما عندى انه علة لما عللته منه، فان كنت قد أصبت العلة فهو الذى التمست ، وان تكن هناك علة غير ما ذكرت فالذى ذكرت محتمل أن يكون علة له) (٦٩).

---

(٦٥) من كلمة للشيخ عضيمة / مجلة كلية اللغة بالرياض .
(٦٦) طبقات النحويين واللغويين ص ٣١ .
(٦٧) السابق ص ٤٧ .
(٦٨) تطور الدرس النحوى ص ٧١ .
(٦٩ ، ٧٠) الايضاح ص ٦٠ ، والاقتراح ص ١٤٨ .

وهذه موضوعية الفكر وانسانيته دون تسلط أو قهر ، وسماحة الاجتهاد ، وانعتاقه من اشكال الجمود ، والقرار على الهيكل الثابت . ويقول :

(ومثلى فى ذلك مثل رجل حكيم دخل دارا محكمة البناء عجيبة النظم والاقسام ، وقد صحت عنده حكمة بانيها بالخبر الصادق ، والبراهين الواضحة ، والحجج اللائحة ، فكلما وقف هذا الرجل الداخل الدار على شىء منها قال : انما فعل هذا هكذا لعلة كذا ، لعلة سنحت له ، وخطرت بباله ، فجائز أن يكون الحكيم البانى للدار فعل ذلك للعلة التى ذكرها هذا الذى دخل الدار ، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة ، الا أن ما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك ، فان سنحت لغيرى علة لما عللته من النحو هى أليق مما ذكرته فليات بها) (٧٠) .

وبتجرد هذا الفكر ، وخلوصة يصرح الخليل للنحاة باعمال العقل فى تفسير ظاهرة الاداء يتلمسون له الحكمة ، حتى قال سيبويه : (وليس شىء يضطرون اليه الا وهم يحاولون له وجها) (٧١) .

وتصادف العلة عند سيبويه فطرية منقادة - فى كثير من شعابها - مثل : (وانما حذفوا الفعل فى هذه الاشياء حيث تنوا ، لكثرتها فى الاستعمال ، واستغناء بما يرون من الحال) (٧٢) ، وكقوله : (.. وذلك قولك : (عبد الله منطلق) ارتفع (عبد الله) ، لانه ذكر ، ليبنى عليه المنطلق ، وارتفع (المنطلق) ، لان المبنى على المبتدا بمنزلته) (٧٣) ، وهو كثير يمثل أساسا عند الخليل ، وسيبويه) على ما نرى فى الكتاب

---

(٧١) الكتاب ١/٣٢ .

(٧٢) الكتاب ١/٢٧٥ .

(٧٣) السابق ٢/١٢٧ .

حتى لا يبعد القول : (ان كتاب سيبويه يكاد يكون مبنيا كله على التعليل ، والحوار الذى يجرى فيه دائما بينه وبين أستاذه الخليل يبدأ فى الاغلب الأعم بالسؤال عن العلل) (٧٤) .

ونشط النحاة بعد سيبويه ، وقد اتسعت الاطلاله على الثقافات الوافدة من فلسفية ومنطقية وكلامية وحاول النحاة الافادة فى معالجة البحث النحوى ، وبخاصة وقد استقرت القاعدة ، أو كادت فى كتاب سيبويه ، وكأن لم يعد للنحاة من هم غير التعليل والتفسير ، فاعطوا فى هذا المضمار بقدر ما أوتى كل من مواهب ، حتى وجدنا من يفرد العلة بتصنيف ، كما فعل الرمانى ، وقطرب ، والقمى وهارون بن الحائك ، ولغذة الاصبانى ، والوراق ، والزجاجى ، وابن كيسان (٧٥) ، وقد تحولت العلة عند ابن جنى الى شىء يجب الاحتفال به ، والدفاع عنه ، فالبحث فى العلل يكشف عما أرادته العرب فعلا من تلك العلل : (باب فى ان العرب قد أرادت من العلل والاغراض ما نسبناه اليها ، وحملناه عليها) (٧٦) .

وزاد اهتمام النحاة بالعلة ، فتشعبت على أيدى الكثيرين منهم طرقاتها ، وتشابكت خيوطها ، حتى صارت يقصد اليها قصدا ، وخفت صوت القاعدة ، وهى الغاية من النحو ، وكان الغاية منه هى العلة فى ذاتها ، حتى غدت العلة مشكلة ينتقد النحاة من ورائها ، ويغمز الدرس النحوى من جرائها ، وقالوا : (وهكذا أحلت الدراسة التعليلية محل الدراسة الموضوعية الوصفية ، وغزت المصطلحات المنطقية ميدان النحو ، وتحولت مباحثه الى ما يشبه القضايا التجريدية . حتى كادت

---

(٧٤) النحو العربى ص ٨٠ .

(٧٥) الانباه ٢٩٦/٢ ، ٣٧/٣ ، ٤٣ ، ٢٢٠ ، ٣٦١ ، ١٦٥ . وكشف الظنون ١١٦٠/٣ .

(٧٦) الخصائص ٢٣٧/١ .

المـــادة اللغـــوية والنحـــوية تختفى فـــى غمرة هـــذه التعليـــلات والمناقشات) (٧٧) . وقالوا : (تعدت العلة الحدود ، لتدخل فى عالم الافتراض والتخمين) (٧٨) .

والأمر لا يبرأ من اسراف لدى أولئك الذين أغرقوا فى العـــلة حتى غدت أبحاثهم تجريدا ممعنا فى الاغتراب ، وعند أولئك الـذين انتقدوا العلة ، وتربصوا بها سمة من سمات البحث عند النحاة ، لقد أدرك النحاة من قديم شطط الجنوح بالعلة النحوية ، ومجاوزتها الغاية منها على يد الكثير من النحويين ، فنبهوا عليه ، كما نبهوا على ما يناسب منها وظيفة النحو كأداة تعين على القول الصحيح وما يجاوز ذلك فهو الى حدود الترف الذهنى ، والجـــدل المجـــرد ، يقول ابن السراج : (اعتلالات النحويين ضربان :

ضرب منها هو المؤدى الى كلام العرب ، كل فاعل مرفوع ، وكل مفعول منصوب وضرب آخر يسمى : علة العلة ، مثل أن يقولوا : لم صار الفاعل مرفوعا ، والمفعول منصوبا ؟ وهذا ليس يكسبنا أن نتكلم كما تكلمت العـــرب ، وانما يســـتخرج منه حكمتها فى الاصـــول التى وضعتها) (٧٩) .

ويقسم الزجاجى علل النحو ثلاثة : تعليمية ، وقياسية ، وجدلية :

ـ فالتعليمية هى التى يتوصل بها الى تعلم كلام العرب ، كالتعليل لنصب (زيدا) فى قولنا : (ان زيدا قائم) بقولنا : لأن (ان) تنصب الاسم وترفع الخبر .

ـ والقياسية ، كقولنا بعـــد ذلك ـ فى تعليل : (ولم وجب أن

---

(٧٧) تطور الدرس النحوى ص
(٧٨) النحو العربى ص ٨٥ .
(٧٩) الاصول ١/٣٥ .

تنصب (إن ، الاسم) ـ ، لانها وأخواتها ضارعت الفعل المتعدى الى مفعول فحملت عليه ، فأعملت اعماله لما ضارعته ...

ـ والجدلية النظرية : كل ما يعمل به بعد ذلك ، كأن يقال : فمن أى جهة شابهت هذه الحروف الأفعال ، وبأى الأفعال شبهتموها ... وكل شيء اعتل به المسئول جوابا عن هذه المسائل فهو داخل فى الجدل والنظر (٨٠) .

فكأن اتفاقا منهم على هذه العلة الأساسية الأولية (التى يتوصل بها الى كلام العرب) ، أما ما جاوز حدودها فهو فضل من فكر ، وتجاوز قد يستغنى عنه فيما أسماه ابن السراج (علة العلة) ، وما يسميه ابن جنى : (شرحا وتفسيرا ، وتتمة للعلة) (٨١) .

والدارسون يرجعون اهتمام النحويين بالعلة الى تأثر بالمنطق، والفلسفة الكلامية حيث كانت العلة عنصرا أساسيا فى المنهج الارسطى يرتبط عنده بالمعرفة عموما ، لأن لكل شيء علته ، والمعرفة العلمية لا تنال الا ببرهان ، والعلل فى الفكر الأرسطى أربع :

علة مادية ، وعلة صورية ، وعلة فاعلية ، وعلة غائية ، فالمادية : مادة الشيء أو التى يجاب بها عن : ما الشيء ، والصورية : شكله وتركيبه ، أو التى يجاب بها عن : كيف ؟ ، لان الاجابة عن (كيف) وصف للكيفية ، ووصف الكيفية هو العلة الصورية ، والفاعلية : صانع الشيء ، أو هى التى يجاب بها عن : من فعل الشيء ؟ ، والغائية : الغرض من الشيء ، أو التى يجاب بها عن : لم ؟ (٨٢) .

---

(٨٠) الايضاح ص ٦٥ ؛ وانظر : الاقتراح ص ٢٧٣ .
(٨١) الخصائص ١/١٧٣ .
(٨٢) انظر : التعريفات ص ١٩٩ ، والاصول / تمام ص ١٧٩ ، والنحو العربى ص ٧٩ .

والعلم اهتمامه أبدا بالعلتين الصورية والغائية ، فأما الصورية فهى كيفيات الظواهر التى يتخذها العلم موضوعا له ، وأما الغائية فهى أغراض سلوك الظواهر ومراميها (٨٣) .

وان يأخذ النحاة بالعلة الوصفية الصورية فى كثير من شعاب البحث ـ على ما رأينا من قبل ـ فقد أولوا العلة الغائية عناية واسعة حتى غدت سمة واضحة على البحث النحوى فى عصوره الممتدة بعد سيبويه ، وقد اختلفت وتباينت ، اذ كانت متروكة لاجتهادات فردية ، تتأثر بالمشاعر الذاتية (أى بالتكوين النفسى والفكرى معا ، واذا كانت المكونات الفكرية تتقارب عادة بين النحاة ، فان المكونات النفسية تختلف تبعا للاختلاف فى مدى الالمام بالمدلولات الحضارية ... والاحاطة بالخبرات السابقة والمعاصرة ، ويترك كل ذلك آثاره فى تصور الاهداف، ومن ثم فى مضمون العلل ، وما ينبنى عليها من أحكام) (٨٤) .

والبحث فى تفسير الظاهرة مطلب يقصد ـ كما قدمنا ـ وان كان النحويون تغيوا العلة لذاتها ، حتى تركبت عندهم ، وتشابكت ، وأثقلت كاهل النحو ، وكلفته رهقا ، فغدت اشكالية تحدث فيها النحاة من قديم ، وحديث ، ولم يسلم الباحثون للنحاة هذا المنهج المترع بعلاته ، يقول أبو حيان و (وهذه التعاليل لا يحتاج اليها ، لأنها تعليل وضعيات ، والوضعيات لا تعلل) (٨٥) ، ويقول : (والأولى الاضراب عن هذه التعاليل ، لانها تخرجن عن العرب فى موضوعات كلامها) (٨٦) . ويقول أحد الباحثين : (ما هذه التعليلات المرهقة الا زائفة ، لا تمت الى العقل والواقع بصلة وان احترام ذلك العقل يفرض علينا نبذها ،

---

(٨٣) الاصول / د . تمام حسان ص ١٧٩ .
(٨٤) تقويم الفكر النحوى ص ١٢٥ .
(٨٥) الهمع ١/٥٦ .
(٨٦) السابق ١/٥٧ .

وتطهير النحو منها) (٨٧) . ويقول عنها أيضا : انها (تفرض على المتكلم والكاتب قيودا ثقيلة مرهقة ، لا مسوغ لها فى عقل سليم ، ولا نقل مسموع عن أهل هذه اللغة) (٨٨) ، ومثل هذا القول امعان فى الصورية ، أو الوصفية ، وسنقف عند مثله عن قريب .

ونحسب أن من أعلى الاصوات التى ارتفعت فى تخليص النحو وتحريره من العلل الغائية المركبة . أبو العباس بن مضاء ، و (لكنه لم يتشبث بالغاء العلل جملة فان فيها قدرا لا يمكن أن نلغيه ، وهو العلل الاول التى تجعلنا مثلا نعرف أن كل فاعل مرفوع ...) (٨٩) .

يقول ابن مضاء : (ومما يجب ان يسقط من النحو العلل الثوانى والثوالث ، وذلك مثل سؤال السائل عن (زيد) من قولنا : (قام زيد) : لم رفع ؟ فيقال : لانه فاعل ، وكل فاعل مرفوع ، فيقال : ولم رفع الفاعل ، فالصواب أن يقال له : كذا نطقت به العرب ، ثبت ذلك بالاستقراء من الكلام المتواتر ..... والفرق بين العلل الاول ، والعلل الثوانى : أن العلل الاول بمعرفتها تحصل لنا المعرفة بالنطق بكلام العرب المدرك منا بالنظر ، والعلل الثوانى هى المستغنى عنها فى ذلك ، ولا تفيدنا الا أن العرب أمه حكيمة ، وذلك فى بعض المواضع ..) (٩٠) .

ولا يخلو كلام الرجل من اعتدال فى الأخذ بالعلل الأولية التعليمية، وببعض الثوانى حينما تدعو ضرورة ، ولا متمسك لما ينقل عنه ، حتى من الذين تصدوا لدراسته من أنه يقضى بالغاء (العلل الثوانى والثوالث): (أما ما وراء ذلك من العلل الثوانى والثوالث ، فحرى بنا أن نحطمه تحطيما) (٩١) . وهذا مع كلامه : (ومع ذلك نجد ابن مضاء يرتضى

---

(٨٧) عباس حسن / اللغة والنحو بين القديم والحديث ص ١٤٨ .
(٨٨) السابق ص ١٥٧ .
(٨٩) مقدمة الرد على النحاة (ضيف) ص ٣٣ .
(٩٠) الرد على النحاة ص ١٥١ - ١٥٢ .
(٩١) السابق ص ٣٣ (مقدمة) .

قبيلا من العلل الثوانى ، ولكن أى قبيل ؟ انه القبيل المقطوع به ، مثل العلة التى تذهب الى أن كل ساكنين التقيا فى الوصل ، وليس أحدهما حرف لين ، فان أحدهما يحرك ، فان قيل : ولم لم يتركا ساكنين ؟ أجيب بأن الناطق لا يمكن النطق بهما ساكنين ، وهى علة ثانية يرتضيها ابن مضاء) (٩٢) .

وليس من مقتضيات البحث اللغوى أو العلمى مشايعة الفكر الرافض لظاهرة التعليل بعامة ، وقد قدمنا طرفا من ذلك . أى الأخذ والاكتفاء بالعلة الصورية ، وكما يرى ابن سنان الخفاجى : (ولذلك كان المصيب منهم من يقول : هكذا قالت العرب من غير زيادة على ذلك) (٩٣) .

ورفض العلة الغائية من منهج النحو الوصفى ـ كما قدمنا ـ ، اذ همه اقرار الحقائق اللغوية حسبما تدل عليها الملاحظة دون محاولة تفسيرها بتصورات غير لغوية ، أى تفسير البنية بعلاقاتها الساكنة لا بأسبابها ومسبباتها (٩٤) . والنحو التقليدى (يهتم أساسا بمعرفة العلة ، والسؤال الذى يشغل أصحابه دائما هو : لم كان هذا هكذا ، ولم يكن غير ذلك ؟ والحق أن هذا الفرق جعل النحو التقليدى مفهوما على وجه العموم) (٩٥) .

وليس بد من سلك منهج العلة الغائية ، والاعتدال بما يحقق رسالة النحو ، اذ كان فى أساسه وغايته تعليميا ، فالعلم (لا مناص له من استعمال العلة الغائية ، ولابد لانجاح عملية التعليم من هذا التفسير الغائى بواسطة ذكر الاسباب ، ذلك ما يحدث عند التطبيق ، وعند الاعراب

---

(٩٢) السابق ص ٣٦ (مقدمة) .
(٩٣) سر الفصاحة ص ٣١ .
(٩٤) الاصول/حسان ص ١٨٣ .
(٩٥) النحو العربى ص ٤٦ .

والتحليل ، فقد يأتى التلميذ بمثال ينصب فيه فاعلا ، فيصحح المعلم خطأه ، فيكون التلميذ بموضع السائل ، اما بلسان الحال ، أو بلسان المقال عند هذا التصحيح : (لماذا كان التصحيح على هذا النحو ؟) فلابد أن يقول المعلم ، لانه فاعل ولو لم يقلها ما تمت عملية التعليم) (٩٦) .

ونقول أيضا لمنكرى التعليل بعامة : قد يسلم نظرهم اذا كان المنطوق العربى فى مستواه على نهج واحد ومقياس لازم ، فتسوغ أو تتحتم معه الوصفية وحدها ، حيث لا يشذ عنها شاذ ، أما وقد تعدد الوارد عنهم فى النظائر والتركيب الواحد فلا نرى الوصفية باطلاقها ناجعة حياله ، وبخاصة مع الناحين بداية فى هذا السبيل ، أما يحتاج قلب العين همزة فى نحو (قائل ، وبائع) دونها فى نظيرهما من مثل : (حاول ، صايد) تعليلا ؟ وماذا يقال فى نحو : (صيام وقيام) ، وقد قلبت الواو فيهما ياء دون نظيرهما من نحو : (لواذ ، وحوال ، وعوان) ، وشأنها جميعا واحد صورة وبنية ؟ . وماذا يقال فى نحو قول العرب : (ليس محمد بقائم ولا قاعد ، ولا قاعدا) ـ جرا ونصبا ـ ، وقولهم : (كفى بالله القادر ، والقادر) ـ جر ورفعا ـ أو نحو قوله تعالى ـ : (لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين) ، (وأكون) ـ جزما ، ونصبا ، وقد قرىء بهما ، وجميعه بطبيعته وارد على ما ألف فى التراكيب العربية . لا نستطيع الاجابة حيالها الا بذكر السبب والعلة ، ولو كانت صور التركيب مطردة باطلاق لاضطرد الوصف ، أو العلة الصورية بتصويره ليس غير ، دونما حاجة الى تفسير غائى ، وكان الاعتلال بالسماع وحده مقنعا ، أما وقد ورد صور للتركيب الواحد ، والنظائر المفردة كذلك ، فالنظر فيها يسلم الى العلة قطعا ، فالاعتدال ـ اذن ـ أهدى سبيلا للصول الى الغاية المأمونة ، وأعنى بها التفسير

---

(٩٦) الاسبق ص ١٨٤ .

بالعلل الاولية دون الحاجة الى غيرها ، ولعل القول بذلك قـــول بالضرورة (٩٧) .

اشكالية العامل النحوى

الأثر الذى يظهر على أواخر الكلمات متغيرا حسب وظيفتها مـــن التراكيب مما اصطلح على تسميته بعلامات الاعراب ، لا يتم الا بمؤثـر يوجد به ، وينعدم بعدمه .

والنحويون لغاية تعليمية ـ كما هو شأن النحـــو فى عمومـــه ترخصوا وتوسعوا فى تسمية الالفاظ : (عوامل) وساغ لهم ذلـــك وسهل ، وتلقف بالقبول والاستحسان . وتيسر تناول النحو وتلقيه ، وقامت على هذه المسامحة كل نظمه ونظرياته فى المفردات والجمل ، وفى الاسماء والافعال ، فى الظاهر والمقدر ، حتى أفردت هذه العوامـــل بتصانيف ، فألف فى (العوامل) الخليل (٩٨) ، والفارسى (٩٩) ، وعبد القاهر (١٠٠) ، والمجاشعى (١٠١) ، والبيركلى (١٠٢) ، بـل نظمها بعضهم كما فعل الدمشقى الحموى (١٠٣) .

وعد النحاة هذا الاتفاق الطريق الامثل لمعالجة الاسلوب نظريـــا ، فكل معمول لابد له من عامل ، وسيبويه يصرح بذلك فى بدايات كتابه : (وانما ذكرت لك ثمانية مجار لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الاربعة

---

(٩٧) انظر : المحرر فى النحو ـ ت الباحث ـ القســـم الاول ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ .

(٩٨) الانباه ١/٣٨١ .

(٩٩) السابق ١/٣٠٩ .

(١٠٠) نفسه ٢/١٨٩ ، وهو مشهور ـ طبع كثيرا .

(١٠١) نفسه ٢/٣٠٠ .

(١٠٢) ويسمى : العوامل الجديدة ـ طبع مرارا .

(١٠٣) فهرس المخطوطات / جامعة الامام محمد بن سعود ص ١٨٧ .

لما يحدث فيه (العامل) ، وليس شيء منها الا وهو يزول عنه ، وبين ما يبنى عليه الحرف بناء لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك فيه من (العوامل) التى لكل (عامل) منها ضرب من اللفظ فى الحرف ، وذلك الحرف حرف الاعراب) (١٠٤) ، وقال : (فعمل الفعل هنا فيما يكون حالا كعمل (مثله) فيما بعده) (١٠٥) ، وقال : (وعمل فيها ما قبلها كما أن العلم) اذا قلت : (أنت الرجل علما) عمل فيه ما قبله ، وكما عمل فى الدرهم (عشرون) اذا قلت : (عشرون درهما) وكذلك يعمل فيها ما بعدها وما قبلها) (١٠٦) ، وقال : (.. فمن تلك الحروف الحروف العوامل فى الافعال الناصبة ... فلا يجوز أن تنصب بين الفعل والعامل فيه بالاسم) (١٠٧) ، : (هذا باب الحروف الخمسة التى تعمل فيما بعدها كعمل الفعل فيما بعده .... وزعم الخليل أنها عملت عملين) (١٠٨) .

وهكذا الكتاب ، وهو من أساسياته ، وعماد بنائه ، كما أنه أسس المنهج النحوى تصنيفا ، وخاصة المنهج البصرى (لان العامل البصرى له قوة العلة الفلسفية ، وتأثيرها وأحكامها) (١٠٩) ، وهذا منهج النحو ، ونظريته الاولى .

وعلى الرغم من استقرار هذا المنهج وتقبله والفه وجهت اليه انتقادات من قبيل من الناس ، وجوبه بمحاولات بدائل ، ولكنها لم تصادف قبولا من كثيرين ، بله من أصحابها الذين لم يكونوا جد مخلصين لما جاهروا

---

(١٠٤) الكتاب ١/١٣ .
(١٠٥) السابق ١/٤٤ .
(١٠٦) نفسه ١/٤٠٤ .
(١٠٧) نفسه ٣/١١٠ .
(١٠٨) نفسه ٢/١٣١ .
(١٠٩) مدرسة الكوفة ص ٢٦١ .

به (١١٠) ، وعلى كل حال . لم يكثر حديث عن نظرية نحوية كنظرية العامل ، تلك النظرية - على ما يقول أحد الدارسين - (التى عوصت النحو وأكسبته جفافا يصد الناس عن دراسته) (١١١) ! .

ولسنا بمعرض الحكم على مثل هذه المقولة ، وبيان درجتها من اسراف ، ومجانبة صواب ، فالأمر ليس مقصورا على صاحبها ، ومثله كثيرون من قبله ومن بعده استشكلوا هذه النظرية ، واقترضوا حلولا ، وان كان الاغلب أن يتجه رأى الوصفيين خاصة الى رفض فكرة العامل (لما تصدر عنه من تصور عقلى) (١١٢) .

وأقرب الظن أن يكون ابن مضاء أول من هجس فى خاطر كل من أتى بعده ، وكان على استعداد للأخذ بظاهر مقالته ، وسياتى أن ابن مضاء له مذهبه الخاص ، وثقافته ، وظروفه التى (أوصدت أمامه الابواب لتفهم العربية وقوانينها) (١١٣) .

والرجل بمذهبه الجبرى الجهمى ينكر نسبة الاعراب الى اللفظ ، أو المتكلم ، بل الى الله - سبحانه - فهو الخالق كل شىء بارادته وقدرته ، يقول ابن مضاء : (قصدى من هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغنى النحوى عنه ، وأنبه على ما أجمعوا على الخطأ فيه ، فمن ذلك ادعاؤهم أن النصب والخفض والجزم لا يكون الا بعامل لفظى ، وأن الرفع منها يكون بعامل لفظى وبعامل معنوى ... فظاهر هذا أن (العامل) أحدث الاعراب ، وذلك بين الفساد ، وقد صرح بخلاف ذلك أبو الفتح ابن جنى

---

(١١٠) قارن بين ابراهيم مصطفى فى (احياء النحو) ، وتقرير لجنة وزارة المعارف عام (١٩٣٨) ، وكان منهم . (انظر : اصلاح النحو ص ١١١) .

(١١١) حسن عون / دراسات فى اللغة والنحو ص ٧٥ .

(١١٢) النحو العربى ص ١٤٨ .

(١١٣) مدرسة الكوفة ص ٢٦٨ .

وغيره ، قال أبو الفتح فى خصائصه (١١٤) بعد كلام فى العوامل اللفظية والعوامل المعنوية : (وأما فى الحقيقة ومحصول الحديث فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم انما هو للمتكلم نفسه ، لا لشىء غيره) . فأكد (المتكلم) بـ (نفسه) ليرفع الاحتمال ، ثم زاد تأكيدا بقوله : (لا لشىء غيره) . وهذا مذهب المعتزلة .

وأما مذهب أهل الحق فان هذه الاصوات انما هى من فعل الله ـ تعالى ـ وانما تنسب الى الانسان ، كما ينسب اليه سائر أفعاله الاختيارية ، وأما القول بأن الالفاظ يحدث بعضها بعضا فباطل عقلا وشرعا) (١١٥) .

هذا قول ابن مضاء ، وهذا قول محققه المحتفى به وبانتفاضته : (نرى ابن مضاء يهاجم نظرية العامل التى أسس النحاة عليها أصول النحو ، وسننه ، وهو هجوم أراد به أن يلغيها الغاء ويهمدمها هدما ... وقد رجع ابن مضاء فكرة تزييف العامل الى من سبقوه اليها من أمثال ابن جنى ، فهى فكرة قديمة ولكنه وسعها وأخرجها فى شكل نظرية ، وانه ليدعم هذه النظرية بكل ما يمكن من أدلة) (١١٦) .

ولا نود أن نلج بمشاعب هذه النظرية أساسا ، أو بدافع موقف ابن مضاء منها ، أو أن (منشأ هذا أن النحاة متأثرون فيها بالفلسفة الكلامية التى كانت شائعة بينهم) (١١٧) . وصدورها عن منظور كلامى مقارنة بين (موجد) الحركة الاعرابية ، وبين فلسفة الخلق والايجاد (وهذه المشكلة التى اختلف النحاة فيها ليست فى جوهرها سوى قضية خلق وايجاد ، وليست بحثا عن تأثير وتأثر) (١١٨) . نقول :

---

(١١٤) الخصائص ١/١٠٩ .
(١١٥) الرد على النحاة ٨٥ ـ ٨٧ (ضيف) .
(١١٦) السابق ص ١٧ ـ ١٨ (مقدمة) .
(١١٧) احياء النحو ص ٣١ ـ ٣٢ .
(١١٨) تقويم الفكر النحوى ص ٢٤١ .

لا نود أن نخرج القضية عن حدودها اللغوية النحوية الى مساجلات فكرية مثارة بين الكلاميين من جهمية · وقدرية ، ومعتزلة وأشاعرة ، ومـــا تريدية · فى أفعال العباد (١١٩) · فذلك جنوح عن القصد الى مسارب ممعنة فى التجريد ·

مصدر ابن مضاء ـ على ما قربنا وقدمنا ـ مذهبى عقدى ، بعيد على المنهج اللغوى ، وسنقف على من ميرانها من قريب ، ولكنا لا نفاجأ بآثار هذه الدعوة الا على مشارف عصرنا ، حيث اتخذت دليل تحرير ، وانظر قول أحدهم : (تخليص النحو من هذه النظرية ، وسلطانها هو عندى خير كثير ، وغاية تقصد ، ومطلب يسعى اليه ، ورشاد يسير بالنحو فى طريقه الصحيحة بعد ما انحرف عنها آمادا) (١٢٠) ، ويقول آخر : (العامل قد جاوز اختصاصه حين اخرجه النحاة من دائرته المحدودة الى التحكم فى الالفاظ والتراكيب) (١٢١) ·

والحق أنه لم يعتقد أحد من النحويين متقدمين ومتاخـــرين أن (العوامل) فى النحو هى التى تحدث الاعراب فى الكلمات ، وانمـــا هى بمنزلة الامارات والعلامات ، يقول أبو الفتح : (ضرب) لم يفعـــل فى الحقيقة شيئا ، وهل تحصل من قولك : (ضرب) الا اللفظ بالضاد والراء والباء على صورة (فعل) · فهذا هو الصوت مما لا يجوز أن يكون منسوبا اليه الفعل · وانما قال النحويون : عامل لفظى ، وعامل معنوى ليروك أن بعض العمل يأتى مسببا عن لفظ يصحبه ···· وبعضه يأتى عاريا عن مصاحبة لفظ يتعلق به ، فأما فى الحقيقة ومحصول الحـــديث فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم انما هو المتكلم نفســـــه لا لشىء غيره ، وانما قالوا : لفظى ومعنوى لما ظهرت آثار فعل المتكـــلم

---

(١١٩) السابق (نفسه) .
(١٢٠) احياء النحو ص ١٩٥ .
(١٢١) عباس حسن / اللغة والنحو .

بمضامة اللفظ ، أو باشتمال المعنى على اللفظ وهذا واضح) (١٢٢) .
ويقول الانبارى : (العوامل فى هذه الصناعة ليست مؤثرة حسية كالاحراق بالنار ، والاغراق للماء ، والقطع للسيف ، وانما هى أمارات ودلالات ، واذا كانت العوامل فى محل الاجماع انما هى أمارات ودلالات، فالامارة والدلالة تكون بعدم الشىء كما تكون بوجود الشىء) (١٢٣) .

ويقول الرضى : (محدث هذه المعانى فى كل اسم هو المتكلم ، وكذا محدث علاماتها ، لكنه نسب احداث هذه العلامات الى اللفظ الذى بواسطته قامت هذه المعانى بالاسم فسمى عاملا ، لكونه كالسبب للعلامة ، كما أنه كالسبب للمعنى المعلم ، فقيل : العامل فى الفاعل ، لانه به صار أحد جزئى الكلام) (١٢٤) . وقال : (فالموجد لهذه المعانى هو المتكلم، والآلة العامل ، ومحلها الاسم ، وكذلك الموجد لعلامات هذه المعانى هو المتكلم لكن النحاة جعلوا الآلة كأنها الموجدة للمعانى ، ولعلاماتها ، فلهذا سميت الآلات : عوامل) (١٢٥) ، وقد ورد التعبير بالآلة فى قول المبرد : (... (لم يضرب زيد) جئت بالآلة التى من شأنها أن ترفع زيدا ، وان لم يكن وقع منه فعل) (١٢٦) .

فالعامل هو المتكلم بموجب عرف لغوى اجتمع عليه الجماعة ، وما هذه الالفاظ التى اصطلح عليها بالعوامل الا اشارات تشير الى مراده بآثاره ، وهذا ما يؤكده العقل والطبع ، اذ لو كانت هذه الآلات هى الفاعلة لما تخلف أثرها ، ولما حدث خطأ فى الكلام ، ولما أخطأ العامى ، كالنار لا يتخلف أثرها ، والمتكلم هو الفاعل ، فهو كما كان محدثا لمادة الكلام

---

(١٢٢) الخصائص ١/١٠٩ - ١١٠ .
(١٢٣) الانصاف م ٥/٤٦ ، وش المفصل ١/٨٤ ، والنزعة المنطقية ص ٥٠ .
(١٢٤) ش الكافية ١/٢١ .
(١٢٥) السابق ١/٢٥ .
(١٢٦) المقتضب ١/٩ .

وأصواتها فهو المحدث كذلك لهيئاتها من حركة وسكون ولكنه ـ مع كونه (العامل) ، وينسب اليه العمل حقيقة ـ ليس حرا أن يأتى بما شاء من حركات ، فهو مقيد بقوانين ارتضاها العرف اللغوى ، كالمصلى هو الفاعل لحركاته ، وأفعال صلاته ، واليه تنسب ، ولكنه مقيد بضوابط قررهـــا الشارع ، وفى التفلت منها مفسدة لصلاته ، وانما نسب العمل للالفاظ ، لان المتكلم محدث للاعراب بآلة ، ومن سنة العرب أن ينسبوا الفعل الـى آلته ، فيقولون : (قطعت السكين) ، كما يقولون : (قطعت بالسكين) ، ولان نسبة العمل الى هذه الافعال من باب الاتساع فى العبارة (وهـــو انهم رأوا عقول المتعلمين قاصرة عن ادراك هذا العمق الفلسفى ، فأجروا الكلام على ما يسهل على المتعلمين) (١٢٧) .

واذن ما وزن صرخة ابن مضاء ؟ وهل يقول فعلا بالغاء العامل كما فهم عنه من كتب واحتشد لدعوته ؟ وقد قدمنا بشىء من ذلك .

رجعنا لابن مضاء فألفيناه لا يقول بالغاء العامل باطلاق ، بـــل يمنع أن يكون العامل اللفظ ، كما يمنع أن يكون المتكلم ـ ولا شىء غيره ـ كما يرى ابن جنى ، بخصوصه ، فهذا اعتزال ، ومذهب أهل الحـــق ـ على ما يعتقد ـ (أن هذه الاصوات انما هى من فعل الله ـ تعالى ـ وانما تنسب الى الانسان كما ينسب اليه سائر أفعاله الاختيارية) (١٢٨) . فالعامل هو الله سبحانه ، مما يمكن أن يسمى العامل عنده ـ على ما يذهب أحد الدارسين ونوافقه ـ : توفيقيا (١٢٩) .

واذا جاز أن نصنف هذه الدعوة لابن مضاء مذهبا نظرا وفـــكرا فلا نراه تطبيقا أتى بشىء يعد له ، وينتزع منه مذهب ، مما يرى معـه أن هذه الصرخة انما هى انتفاضة قشرية باهتة ، واسمع قوله ـ مطبقا نظرته على التنازع ـ : (وأنا هنا لا أخالف النحويين الا أن أقـــول :

---

(١٢٧) انظر : النحو بين الأزهر والجامعة ص ٨٤ .
(١٢٨) الرد على النحاة ص ٨٧ .
(١٢٩) انظر : مدرسة الكوفة .

(علقت) ولا أقول : (أعملت) ، والتعليق يستعمله النحويون فى المجرورات ، وأنا أستعمله فى المجرورات والفاعلين والمفعولين) (١٣٠) ، وكذا مسار تطبيقه ، وهل فرق بينه وبين النحاة : (التعليق) عنده ، و (الاعمال) عندهم ؟ . حتى هذا الفرق الذى زعمه نص عليه النحاة من أن القصد من العمل هو (التعلق) ، وهو نفسه ما يقرره الرجل مذهبا له دون النحاة ، وانظر قول تاج الدين الاسفراييني فى شرح مصباح المطرزى : (ان تعلق الفعل وما أشبهه من الحروف والاسماء وغيرها بالاسم المتمكن سبب لثبوت وصف فيه كالفاعلية ، أو ما أشبهها ، والمفعولية ، أو ما جرى مجراها ، والاضافة ونحوها ، وهذه معان معقولة تستدعى نصب علامات يستدل بها عليها ، فجعلوا الاعراب الذى هو الرفع والنصب والجر دلائل عليها . وسموا تلك المعانى : مقتضيات للاعراب ، وسموا الاشياء التى (تعلقها) بالاسم المتكمن سبب لحدوث هذه المعانى : عوامل) (١٣١) .

كذا لفظ النحاة . وفهمهم (العامل) بمعنى (التعلق) . وهو نفسه ما زعمه الرجل لنفسه ، فدعوته ـ اذن ـ لم تكن دعوة ناضجة مؤسسة على يقين علمى ثابت ، وانما هى هزة عاطفة ساقها دون أن يسلم له امتداد طريق ، أو طول نفس ، فعاد ، أو أفاء الى ما يقول به الناس جميعا ولا نرى من بعد متمسكا يتعلق به ابن مضاء ، أو يتعلق به منه .

ولنا أن نوضح ميزان الفكرة فى الدراسة النحوية عند المحدثين .

لقد قدمنا أن فكرة (العامل) فى ذاتها ذات اهتمام كبير عند (الوصفيين) ، اذ يرفضونها ، لقيامها على تصور عقلى . أما عند التحويليين) فالنظر فى العامل قد آض من أهم مسئوليات الدرس

---

(١٣٠) الرد ١٠٧ (ضيف) .
(١٣١) الضوء / شرح المصباح ق ٣٩ ا ب / عن النحو فى فارس (رسالة ص ١٤٦) .

اللغوى ، لان (التحويليين يقررون أن النحو ينبغى أن يربط (البنية العميقة) (ببنية السطح) ، والبنية العميقة تمثل العملية العقلية ، او الناحية الادراكية فى اللغة ، ودراسة هذه البنية تقتضى فهم العلاقات ، لا باعتبارها وظائف على المستوى التركيبى ، ولكن باعتبارها علاقات للتاثر والتاثير فى التصورات العميقة .

والحق أن قضية العامل ـ فى أساسها ـ صحيحة فى التحليل اللغوى ، وقد عادت الآن فى المنهج التحويلى على صورة لا تبتعد كثيرا عن الصورة التى جاءت فى النحو العربى ، والتحليل النحوى عند (التحويليين) يكاد يتجه الى تصنيف العناصر النظمية وفقا لوقوعها تحت تأثير عوامل معينة ينبغى على الدارس أن يعرفها ابتداء ، وتكاد المصطلحات التى يستعملها التحويليون لا تختلف عن كلام العرب القدماء) (١٣٢) .

اشكالية الاعراب

الشكل الاعرابى أثر العامل ـ بمفهومه الذى قدمنا ـ وعلى ما له من ميزان فى اللغة استشكل ، ودفع ، وانتقد . وهذا موضوع حديثنا .

فالاعراب من سمات العربية ، وحركاته ، ونظمه ايجاز يدل به على المعنى الوظيفى للمفردات فى التراكيب ، وهذا معنى يضاف الى معناها اللغوى ، والاشتقاقى ، يقال : (جاء كريم) فالضمة تدل على وظيفة الكلمة من الفاعلية ، وهذا غير معناها اللغوى من الحدث ، والاشتقاقى من الوصف (١٣٣) .

فهو الابانة عما فى النفس ، كما انه ايضاح عن النسب بين أسس التراكيب ، والحركات دوال على هذه النسب ، وعلامات صلات بين

---

(١٣٢) النحو العربى ص ١٤٨ .
(١٣٣) انظر : نحو وعى لغوى ص ٦٤ .

المفردات فى الجمل ، يقول أبو الفتح : (هو الابانة عن المعانى بالألفاظ ، ألا ترى أنك اذا سمعت : (أكرم سعيد أباه ، وشكر سعيدا أبوه) علمت برفع أحدهما ، ونصب الآخر الفاعل من المفعول ، ولو كان الكلام شرجا (نوعا) واحدا لاستبهم أحدهما من صاحبه) (١٣٤) .

ويقول ابن فضال المجاشعى : (يحتاج اليه فى معرفة الأحكام ، ويستدل به على الفرق بين الحلال والحرام ، ويتوصل بمعرفته الى معانى الكتاب ، وما فيه من الحكمة وفصل الخطاب ، ألا ترى الى قول النبى ـ عليه السلام ـ : (لا يقتل قرشى بعدها صبرا) ، لو رواه راو : (لا يقتل) ـ بالجزم ـ لأوجب ألا يقتل القرشى وان ارتد ، ومعنى الحديث مع الرفع : أنه لا يرتد القرشى فيقتل ، وكذلك لو قال : (ما له (١٣٥) عندى حق ...) كان جحدا ، ولو قال : (ما له (١٣٦) عندى حق) لكان اقرارا ولزمه أداؤه ، ووجب على الحاكم أن يحكم عليه بذلك) (١٣٧) .

ويقول السيوطى : (من العلوم الجليلة التى اختصت بها العربية الاعراب الذى هو الفارق بين المعانى المتكافئة فى اللفظ ، وبه يعرف الخبر الذى هو أصل الكلام ، ولولاه ما ميز فاعل من مفعول ، ولا مضاف من منعوت ، ولا تعجب من استفهام) (١٣٨) .

ويقول يوهان فك : (لقد احتفظت العربية الفصحى فى ظاهرة التصرف الاعرابى بسمة من أقدم السمات اللغوية التى فقدتها جميع السامية ـ باستثناء البابلية القديمة ... ـ أما أن أقدم أثر من آثار النثر العربى ، وهو القرآن قد حافظ أيضا على غاية التصرف الاعرابى فهذا أمر

---

(١٣٤) الخصائص ٢/٣٥ .
(١٣٥) أى بفتح اللام .
(١٣٦) أى بضم اللام ، ولا يخفى الفرق .
(١٣٧) شرح عيون الاعراب ص ٣٧ .
(١٣٨) المزهر ١/٣٢٩ .

- وان لم يكن من الوضوح والجلاء بدرجة الشعر الذى لا تترك أوزانه مجالا للشك فى اعراب كلماته - فان حرية الحركة فى بناء جمل القرآن لا تترك أثرا للشك فى اعرابه كذلك ، انظر مثلا :

سورة فاطر ٢٨/٣٥ : (انما يخشى الله من عباده العلماء) .

وسورة التوبة ٣/٩ : (أن الله برىء من المشركين ورسوله) .

وسورة البقرة ١٢٤/٢ : (واذ ابتلى ابراهيم ربه) .

وسورة النساء ٨/٤ : (واذا حضر القسمة أولو القربى) .

فمثل مواقع الكلمات فى هذه الآيات .... لا يمكن أن تكون الا فى لغة لايزال الاعراب فيها حيا صحيحا) (١٣٩) .

وهذا أمر لا يفتقر الى نماذج مؤكدة ، فهى متاحة ، مباحة ميسورة ، وانما قصدت الهدى الى ما نحن بسبيله من أن الشكل الاعرابى ضرورة (تميز المعانى ، وتوقف على أغراض المتكلمين) (١٤٠) ، ولقيمته البالغة أداء كان المحور الرئيسى الذى تدور حوله جميع القضايا النحوية ، والدراسات ، من سيبويه ، ومن تبعه ، فالشكل الاعرابى ، أساس المنهج ، والدراسة ، وما يدور حوله ، وما يتصل به (١٤١) .

وما يقرره النحاة من كون حالات الاعراب دوال المعانى هو ما تؤكده طبيعة اللغة ، وسمات التراكيب - على ما قدمنا - وقد نشطت من قديم ومن قريب الدعوة الى ترك الاعراب ، لاشكاليته ، بل واستشكال النحو بعامة ، لارتباطه به ، حتى وجدنا منهم من يحمل على (الاعراب) ، فهو - فى زعمه - : (مصدر لكل ما يقع من لحن فى قراءة العربية) . والحل فى رأيه : (هو أن تبقى أواخر الكلمات ساكنة لا تتحرك بأى عامل من العوامل . بهذه الطريقة - وهى طريقة جميع اللغات الافرنكية ،

---

(١٣٩) العربية / فاره ص ١٥ .

(١٤٠) ابن فارس / الصاحبى ص ١٦١ .

(١٤١) انظر : دراسات فى اللغة ص ٧٥ .

واللغة التركية أيضا ـ يمكن حذف قواعد النواصب والجوازم ، والحال ، والاشتغال ... الخ بدون أن يترتب عليه اخـــلال باللغـــة ، اذ تبقى مفرداتها كما هى) (١٤٢) ، ويقول آخر : (استخدام الحركات فـى أماكنها يعد عقبة فى درس العربية ، لان قواعدها تقضى بوضع علامات آخر المعربات ... وهذا هم يلازم الكاتب والقارىء والخطيب مـــدى الحياة ، ولا يكتفى النحاة بذلك ، بل يطالبون الدارس بتصور عـــلامات اعراب للكمات المبنية الأواخر ..) والحل ـ فى زعمه ـ : (أن تحسب الكلمات العربية كلها مبنية الآخر (!) فيقتصر فى ضبط الألفاظ عـلى السماع ، وقواعد الصرف ، وفى اعرابها على معرفة نسبتها فى الجمـــل بعضها البعض) (١٤٣) .

وليس الأمر شكلا ، ولا هو بالهين ، ومن العسف المقارنة باللغـات الأخرى ، فللحركة الاعرابية دلالتها فى السياق ـ وقد تقدم شىء من ذلك ـ واهدار الاعراب (وتسكين الأواخر ـ كما يقول أحد الباحثين ـ يقضى على قواعد العربية ، وعلى البلاغة ، والفصاحة ، والبيان الرفيـــع ، وعلى فن القول ، وعلى بحور الشعر ، وموسيقى الكلم ، وعلى كل ما

---

(١٤٢) قاسم أمين / تراجم مصرية / هيكل ص ١٦٤ عن الاصـــلاح ص ٩٠ .

(١٤٣) جرجس الخورى / المقتضب سنة ١٩٠٤ ص ٤٣٢ عن الاصلاح ص ٨٩ ، وسلامة موسى ـ كقاسم أمين يدعو الى الغاء الاعراب ويقول : (قواعد الاعراب هى أكبر مصدر للصعوبة فى النحو ، وان اصلاح تـــلك القواعد ، أو تيسيرها أمر بعيد الاحتمال ، فلا مفر من الغاء ظاهرة الاعراب ذاتها) ـ نقله صاحب الاصلاح ص ٩٢ ـ وهذه دعوة قصد بها أساسا محاربة الفصحى ، وبالغاء الاعراب تثبت دعائم العامية التى يدعون اليهـــا ترويجا لدعوة أستاذيهم من أمثال : وليم سبنينا ، كارل فولرس ، واللورد دوفرين ، سلدن ولر ، وليم ولكوكس ومن عداهم ، وهؤلاء اجتهدوا فـــى الدعوة الى العامية أما الالتزام بالفصحى فالتزام تقليدى كلاسيكى ، ولا يمكن أن يعطى أدبا متطورا . انظر : اللغـة العربيـــة / نذير حمدان ص ٢٩ وما بعدها) .

فى الغربية من جمال) (١٤٤) ، وسنعود اليه .

والنحاة جميعا على أن هذه الرموز الاعرابية من (اصوات المد القصيرة التى تلحق أواخر الكلمات تدل على وظيفة الكلمة فى العبارة ، وعلى علاقتها بما عداها من عناصر الجملة) (١٤٥) . - على ما قدمنا - ولم ينفرد عن هذا الاجماع الا قطربا ، فالحركات عنده ليست دوال على المعانى ، ولا دخل للاعراب للفرق بين المعانى ، اذ يوجد فى الكلام الاتفاق فى الاعراب مع الاختلاف فى المعنى مثل : (ان زيدا اخوك ، لعل زيدا أخوك) . وكذلك قد يختلف الاعراب ويتفق المعنى مثل : (ان الأمر كله لله) (١٤٦) - بالنصب - ، (ان الأمر كله لله) - بالرفع - وقرىء بالوجهين جميعا (١٤٧) .

وواضح ان الاعتراض منه لا يثبت ، فـ (ان) و (لعل) مجازهما فى السياق واحد والمعنى لمتعلق بالاسم لا فى الاسم بعدهما ، وفى الآية الكريمة يختلف على القراءتين المعنى - والله أعلم - ، اذ الخبر على النصب مفرد ، أو فى حكمه ، وعلى الرفع جملة ، فالكلام - اذن - جملتان وكونه جملتين أقوى من كونه جملة واحدة - كما يقول البلاغيون - وان كان النصب أشهر قراءة (١٤٨) .

اذن . ماذا يرى قطرب ؟ يقول : (لو كان الاعراب انما دخل الكلام للفرق بين المعانى لوجب ان يكون لكل معنى اعراب يدل عليه ، لا يزول بزواله ... وانما اعربت العرب كلامها ، لان الاسم فى حال الوقف يلزمه السكون للوقف ، فلو جعلوا وصله بالسكون ايضا لكان يلزمه الاسكان فى الوقف والوصل ، وكانوا يبطئون عند الادراج ، فلما وصلوا

---

(١٤٤) قضايا ومشكلات لغوية / العطار ص ٩٩ .
(١٤٥) اللغة العربية ص ٥٤ / عن فقه اللغة ص ١٣٠ .
(١٤٦) ال عمران : ١٥٤ .
(١٤٧) قرأ بالرفع أبو عمرو ، والباقون بالنصب (التيسير ص ٩١) .
(١٤٨) انظر : الكشف عن وجوه القراءات ١/٣٦٠ .

وأمكنهم التحريك جعلوا التحريك معاقبا للاسكان ، ليعتدل الكلام)(١٤٩)٠

ويعقب على هذا ونحوه بأمور :

أولها ـ أنه لو كانت غاية الحركات صفة من صفات الوصل لكانت حركة واحدة تجزىء ، ولما تنوعت الحركات ما دامت الحركة الواحدة تعاقب السكون ، وقد يقف دون ذلك قوله : (لو فعلوا ذلك لضيقوا على أنفسهم فارادوا الاتساع فى الحركات ، وألا يحظروا على المتكلم الا حركة واحدة) (١٥٠) ٠

ثانيها ـ أنه لو كانت غاية الحركات الوصل لجاز رفع الفاعل مرة ، ونصبه أخرى ، وجره ثالثة ، وجاز كذلك رفع المفعول وجره ، وكذلك الحال فى المضاف اليه وغيره مما يتغير آخره لوظيفته فى الجملة ، ما دام القصد الى الحركة فى ذاتها ، فاى حركة تجزىء ـ اذن ـ ، ولا يخفى تدنيه ، وتكلفه ٠

ثالثها ـ أنه اذا كانت الحركة لازمة فى الدرج وصلا ، فكيف يعد السكون فى حالة الجزم اعرابا ٠

رابعها ـ أن ذلك (يفضى الى ابطال الاعراب ، والتوسيع على كل قائل أن يحرك آخر الكلمة كما شاء فى كل موضع ، وذلك ما لا يقبله أحد من النحاة ، وما أظن قطربا كان وفيا لرأيه هذا الى آخر ما يقتضيه) (١٥١) ٠

واذ عرفنا هذا لقطرب ، فاغرب أن يرى أحد الدارسين أن (الاعراب) قصر مختلقة ، وأن النحاة وضعوها بمهارة واحكام ، وانهم قد استمدوا خيوطها من ظواهر لغوية متناثرة ٠

---

(١٤٩) الايضاح / الزجاجى ص ٧٠ ٠

(١٥٠) السابق (نفسه) ٠

(١٥١) احياء النحو ص ٥٢ ٠

يقول : (ما أروعها قصة ! لقد استمدت خيوطها من ظواهر لغوية متناثرة بين قبائل الجزيرة العربية ثم حيكت وتم نسجها حياكة محكمة فى أواخر القرن الاول الهجرى ، أو أوائل الثانى على يد قوم من صناع الكلام نشأوا وعاشوا معظم حياتهم فى البيئة العراقية ، ثم لم يكد ينتهى القرن الثانى الهجرى حتى أصبح الاعراب حصنا منيعا امتنع حتى على الكتاب والخطباء والشعراء من فصحاء العربية ، وشق اقتحامه الا على قوم سموا فيما بعد بالنحاة) (١٥٢) ! .

ويقول : (لم تكن الحركات الاعرابية تحدد المعانى فى اذهان العرب القدماء ، كما يزعم النحاة ، بل لا تعدو أن تكون حركات يحتاج اليها فى الكثير من الاحيان لوصل الكلمات بعضها ببعض) (١٥٣) ، والذى يحدد معانى الفاعلية والمفعولية وغيرهما أمران : .

أولهما ـ نظام الجملة العربية ، والموضع الخاص لكل من هذه المعانى اللغوية فى الجملة .

ثانيهما ـ ما يحيط بالكلام من ظروف وملابسات تقوم على معرفة الصلة بين المتكلم والسامع ، ومعرفة السياق والظروف التى مهدت للكلام ورسمت وضعه الخاص (١٥٤) .

ولا يخلو هذا التوجه من شطط واسراف ومجاوزة ، فالاعتماد على نظام الجملة مميزا بين المعانى لو صح فى غير العربية فلا يصح معها ، فمن ذا الذى يزعم أن لأى من عناصر الجملة ، أساسيا كان العنصر أو تكميليا موضعا لا يتجاوزه ـ الا فى ظروف خاصة ـ بتقديم أو بتأخير ، حتى يكون للموضع الخاص سلطان التفريق بين المعانى ، ولقد عرفنا أن مرونة الحلول فى المواقع من خصائص التراكيب العربية ، والمفرق بين المعانى هو الاعراب تقدم حامله أو تأخر .

---

(١٥٢) من أسرار اللغة ص ١٩٧ .
(١٥٣) نفسه ص ١٥٨ ، وهذا رأى تطرب عينه .
(١٥٤) انظر : نحو وعى لغوى ص ٧١ .

يقول : (من اللغات ما تتخذ من جملتها (حجرات) تسكن فى كل منا حالة من حالات النحو ، ففيها للفاعل موضع ، وللفعل آخر ، وللمفعول موضع ثالث ، وهكذا) (١٥٥) .

والعربية لا تعرف هذه النمطية الجامدة التى لا تتغير حتى يكون فى مواقع أجزائها دلالة وظيفتها وهذه خصيصة فى الاساليب رصد لها النحاة ، وضبطوا لها فى تقديم وتأخير ، وقد مر نماذج كان الحكم فى كشف الدلالة فيها الاعراب ، اذ جاوزت كلماتها مواطنها الاصلية حتى قال فك معقبا : (فمثل هذه الكلمات فى هذه الآيات ... لا يمكن أن يكون الا فى لغة لا يزال الاعراب فيها حيا صحيحا) (١٥٦) . وقد تاكد استعمالا عدم القرار على موطن واحد للمفردات فى التراكيب فسحة للمتكلم تعد من سمات العربية ، بل من اروع صفاتها ، وأكثرها فائدة فى طواعية اللغة للناظم والشاعر ، وفى طواعية الالفاظ للحالات النفسية التى تستدعى فى كثير من الاحيان نظاما خاصا لا تساعد عليه اللغة ذات الحجرات الثابتة (١٥٧) .

وليست الظروف والملابسات بأسعد حظا فى الكشف عن المعانى من (نظام الجملة) ، فما اشقه من طريق وأوعره ، فالمدارك متباينة ، وقد يكون بين المتكلم والمخاطب عهد واختلاف بيئة ، فأى ظروف ترشد ، أو ملابسات تدل ؟

وليس أبعد من كون الاعراب قصة مختلفة وضعها النحويون بمهارة، واحكام ، فذلك ما لا يعين على تقبله واقع من لغة أو تاريخ :

- فالعربية نطق العرب بها من أول الأمر معربة ، قال الزجاج :

---

(١٥٥) من أسرار اللغة ص ٢٨٢ .
(١٥٦) العربية / فاره ص ١٥ وقد تقدم .
(١٥٧) انظر : نحو وعى لغوى ص ٨٩ .

(وهكذا نطقت به فى أول وهلة ولم تنطق به زمانا غير معرب ثم أعربته) (١٥٨) .

- وأن القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وكلام العرب دليل على وجود الاعراب .

- ما ثبت أن المخالفة الاعرابية فى الصدر الاول كانت أمرا مستهجنا منكرا ، لا يحمل عربى عليه وانظر : حكى الكسائى أنه قال لغلام بالبادية : (من خلقك؟) باسكان القاف فلم يدر ما يقول ولم يجبه ، فرد عليه السؤال فقال الغلام - لعلك تريد من خلقك ؟ - أى بفتح القاف (١٥٩) . وغيره كثير ، كما حفلت كتب التاريخ عنهم بما يؤكد قيمة الحركة الاعرابية فى الكشف عن الدلالة ، وهو كذلك موفور ، ومن طريق ما روى عن عبد الملك بن مروان وقد أخذ رجلا كان يرى رأى الخوارج فقال له : ألست القائل :

ومنا سويد والبطين وقعنب ومنا أمير المؤمنين شبيب

فقال له الخارجى : انما قلت : (أمير المؤمنين) - أى يا أمير المؤمنين - فأمر بتخلية سبيله (١٦٠) .

وقد استقر - من بعد - أن الاعراب فى العربية ليس ترفا وزخرفا ، بل هو ضرورة دلالة ، وتركة هدم للغة ، وقيد لطلاقتها ، واخلال بابانتها ، وكم من تراكيب لا يفصح عن دخائلها الا الاعراب ، وهو الوسيلة الناجعة التى تعين الوظائف النحوية للالفاظ فى الجمل ، وأن حركاته ضرب من الايجاز لا نظير له فى اللغة ، وبالاعراب يتحرر المتكلم من القوالب الثابتة التى تقيد الدلالة ، ويتسع له مجال القول بتقديم أو تأخير دون حرج اعتمادا على الرواصد الدالة على مراده من حركات الاعراب ، وقد

---

(١٥٨) الايضاح ص ٦٨ .

(١٥٩) انظر : البيان والتبيين ١/١٦٣ - ١٦٤ .

(١٦٠) مجلة كلية اللغة - الرياض / عضيمة ص ٨١ ع ٦ سنة ١٣٩٦ هـ ، معجم الادباء ١٣/١٧٧ ، وانظر : الانباه - ترجمة الكسائى .

سبق القول ان الشعر بدون اعراب كلماته تختل أوزانه ، وتضطرب ، أو لا يكون شعرا (١٦١) .

فاستشكال الاعراب ، أو دعوى صعوبة النحو لقيامه على الاعراب ، دعوى لا نبرىء ساحتها ، والهدف من ورائها عربية لا اعراب فيها .

ويروق لى قول فك : (لقد تكفلت القواعد التى وضعها النحـــاة العرب فى جهد لا يعرف الكلل ، وتضحية جديرة بالاعجاب بعرض اللغة الفصحى وتصويرها فى جميع مظاهرها من خاصية الاصوات والصـيغ وتركيب الجمل ومعانى المفردات على صورة محيطة شاملة ، بحيث بلغت القواعد الاساسية عندهم مستوى من الكمال لا يسمح بزيادة المستزيد ، ولا تزال القواعد الاساسية المذكورة تعد اللغة العربية لغة متصرفة بمعنى الكلمة ، محافظة على نهايات الاعراب ، والتصرفات المختلفة ... وقـد صار الاعراب هو الفارق الذى يميز عند المثقفين العرب بين العربيـــة الفصحى ، وجميع القوالب والاساليب المولدة حتى اللهجات الدارجـــة واللغات العامية) (١٦٢) .

اشكالية الحذف والتقدير

كان من أعنف ما استشكل على النحو ظاهرة الحذف والتقدير فيه ، بموجب عامل ، أو مقتضى مثالية أسلوب تلتمس عناصره . وهذه اشكالية ليست بالجديدة على الدرس النحوى ، فلها جذور ممتدة ، صادفناهـــا عند قبيل من قديم ، ثم خلف خلف ألحوا عليها ، وسهل على كثيرهم المجاهرة بها ، والتربص بالنحو استصعابا لما فيه من الحذوف والتقديرات ، وربطوا هذه بنظرية (العامل) تلك التى أسس عليها النحو العربى ،

---

(١٦١) انظر : فقه اللغة / وافى ص ١٣٠ ، واللغة العربية ص ٤٩ ، وما بعدها ، وقضايا ص ٩٧ ، ونحو وعى لغوى ص ٦٢ وما بعدها .
(١٦٢) العربية / فك ص ١٤ .

وكانت كذلك أهم اشكالية سددها الوصفيون للنحو على ما يأتى .

والحذف والتقدير من أوضح ملامح المنهج ، وأفسح سبله فى التفسير والتأويل ، وقد أولاه النحاة همه من جهودهم بالغة ، فهما لسنن العرب فى كلامها ، يقول سيبويه : (.. وما حذف فى الكلام لكثرة استعمالهم كثير) (١٦٣) ، : (ويحذفون فيما كثر فى كلامهم ، لانهم الى تخفف ما أكثروا استعماله أحوج) (١٦٤) ، : (.. حيث كثر الحذف فى كلامهم) (١٦٥) .

وقد ضبط النحاة للحذف ، فأحكموا الضبط ، بل جعله ابن جنى من (شجاعة العربية) (١٦٦) ، قال : (قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة ، وليس شىء من ذلك الا عن دليل عليه ، والا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب فى معرفته) . ويضبط أبو الفتح تقسيمات كل أولئك ، ومظان الحذف معها ، جملة ، أو مفردا : اسما ، أو فعلا ، أو حرفا ، وسواء أكان الاسم مبتدأ ، أم خبرا ، أم مضافا ، أم غيرها ، والفعل كذلك مع فاعله أو وحده ، والحرف الزائد على الكلمة لمعنى ، أو ما هو من الكلمة نفسها (١٦٧) ، كل ذلك معترف به ومباح ما وجد عليه دليل ، ويقول السهيلى : (جميع ما يعترى اللفظ من زيادة فيه أو حذف فانما هو بحسب ما يكون فى المعنى ، اللهم الا أن بكثير استعمال كلمة فيحذف منها تخفيفا على اللسان ، لكثرة دورها فيه ، ولعلم المخاطب بمعناها) (١٦٨) .

وقضية الحذف والتقدير موجودة يوم وجد النحو ، وقد فقه

---

(١٦٣) الكتاب ٢/١٣٠ .
(١٦٤) نفسه ٢/١٢٩ .
(١٦٥) نفسه ٤/٤٠٥ .
(١٦٦) الخصائص ٣/٣٦٠ .
(١٦٧) انظر : السابق ٣/٣٦٠ - ٣٨١ .
(١٦٨) نتائج الفكر ص ٩٩ - ١٠٠ .

النحويون طبيعتها ، وان اختلف المنهج تطبيقا حسب مقاييس كل وأدواته ، فالكوفيون تخففوا ـ الى حد ـ من التزام التقدير فى التركيب ، فأجروه على مقتضى ظاهرة ، أو شكله ، فهم أقرب الى المنهج الشكلى ، أى : وصف النص حسب مقوماته الشكلية ، فالمدرسة الكوفية ـ الى درجة ـ (مدرسة وصفية) ، وانظر تحليلهم بلا تقدير : اضافة الشىء الى نفسه . اذ اختلف المتضايفان لفظا من نحو قوله ـ سبحانه ـ : (حق اليقين) (١٦٩) ، و (لدار الآخرة خير) (١٧٠) ، ومباشرة الشرط الاسماء : (وان أحد من المشركين استجارك) (١٧١) . (اذ السماء انشقت) (١٧٢) ، ودخول (من) على الزمان : (من أول يوم) (١٧٣) ، والنصب بالحروف (الفاء ، والواو ، وأو) للمضارع دون تقدير (أن) .

والبصريون يقدرون محذوفا فى كل ذلك بحسبه . على ما هو معروف ، ومتناول (١٧٤) ، وهذا المحنا اليه سابقا . وأيا ما كان الأمر ، واختلف توجه كلتا المدرستين فأساس الحذف والتقدير معترف به ، ومقر من منهج الجميع . وان انبرى بعض النحاة وتربصوا لمنهج التقدير فى النحو .

ـ يرى المبرد فى قوله ـ سبحانه ـ : (ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه) (١٧٥) أن فاعل (بدا) مصدر مقدر أى : بدا لهم بدو ، ولكن حذف (بدو) من الكلام ، لان (بدا) يدل عليه ، فيعترضه ابن ولاد بقوله : (ليس الأمر كذلك ، لان (ليسجننه) جملة فى موضع الفاعل ، وأما قوله : (انه يضمر فيه (البدو) فانا انما يضمر

---

(١٦٩) الواقعة : ٩٥ .
(١٧٠) النحل : ٣٠ .
(١٧١) التوبة : ٦
(١٧٢) الانشقاق : ١ .
(١٧٣) التوبة : ١٠٨ .
(١٧٤) انظر : ـ مثلا ـ الارتشاف ٢/٤٤١ ، ٥٠٦ .
(١٧٥) يوسف : ٣٥ .

اذا كان الكلام محتاجا الى الاضمار ناقصا عن التمام ، فأما اذا كان الكلام تاما مفيدا فلا حاجة بنا الى الاضمار) (١٧٦) .

وهذا مسلك من ابن ولاد لا نفهم منه القطع بالتوقف دون المنهج الا على رؤية يراها صاحبها اعتدالا ، وان عدها بعض الدارسين من أولى الدعاوى لالغاء الحذف والتقدير (١٧٧) ، وسنعرض له قريبا .

وأبو العلاء يقف عند مذهب سيبويه فى قول عدى بن زيد :

أرواح مودع أم بكور أنت فانظر لأى حال تصير ؟

وتخريجه (أنت) على الفاعلية لفعل مضمر يفسره المذكور بعده (١٧٨) ، (فيقول المعرى موجها الخطاب لعدى : وأنا أستبعد هذا المذهب ، ولا أظنك أردته) (١٧٩) .

وهذا شىء عرفناه لأبى العلاء فى (رسالة الغفران) ، ومن العجلة حمله على مذهب له ، فهو على مذهب الناس - على ما سترى قريبا - وان زعمه الدارسين (١٨٠) مذهبا له ، ودعوة .

وربما كان ابن مضاء أسمع صوتا فى هذا المضمار ، وأبلغ دعوة ، وأكثر استهواء لأولئك الذين حملوا على النحو والنحاة ، وترداها كل من انتفض لينشىء نحوا ، أو يضيف حلولا .

يقول ابن مضاء : (.. وهذه المضمرات التى لا يجوز اظهارها لا تخلو من أن تكون معدومة فى اللفظ ، موجودة معانيها فى نفس القائل ، أو تكون معدومة فى النفس كما أن الالفاظ الدالة عليها معدومة

---

(١٧٦) أحمد مختار عمر / مجلة الازهر م ٣٨ سنة ١٩٦٧ / ٥١٧ .
(١٧٧) السابق .
(١٧٨) الكتاب ١/١٤١ .
(١٧٩) أحمد عمر / الاسبق (نفسه) .
(١٨٠) نفسه .

فى اللفظ : فان كان لا وجود لها فى النفس ، ولا للالفاظ الدالة عليها وجود فى القول فما الذى ينصب ـ اذن ـ وما الذى يضمر ؟ ونسبة العمل الى معدوم على الاطلاق محال ٠

فان قيل : ان معانى هذه الالفاظ المحذوفة موجودة فى نفس القائل ، وان الكلام بها يتم ، وانها جزء من الكلام القائم بالنفس المدلول عليه بالالفاظ ، الا أنها حذفت الالفاظ الدالة عليها ايجازا ، كما حذفت ما يجوز اظهاره ايجازا لزم أن يكون الكلام ناقصا ، وألا يتم الا بها ، لانها جزء منه ، وزدنا فى كلام القائلين ما لم يلفظوا به ، ولا دلنا عليه دليل الا ادعاء أن كل منصوب فلابد له من ناصب لفظى وقد فرغ من ابطال هذا الظن بيقين) (١٨١) ٠

ومن الناس من فهموا الاشارات من هؤلاء الثلاثة على غير ما قصدوا ، وأمعنوا فى تحميلهم الدعوة الى الانعتاق من هذا المنهج (١٨٢) ، والقول على خلاف ما فهموا وقرروا ٠

● اما ابن ولاد فهو على محجة الناس ـ وان تحفظ فى كلفة التقدير ان لم يكن اليه حاجة ـ فينقل عنه ابن مضاء قوله انتصارا لسيبويه : (واحتج أبو العباس أحمد بن ولاد ٠٠٠ لسيبويه بأن قال : انما يرفع الاسم الواقع قبل الفعل ، وينصب باضمار فعل اذا كان الفعل خبرا عنه ، أى : يرتفع بالابتداء كقولك : (أزيدا ضربته ؟) ٠ لو رفعته بالابتداء لكان (ضربته) خبرا له ، وكذلك : (أزيد قام) ؟ لو رفع (زيد) بالابتداء لكان (قام) خبرا له) (١٨٣) ٠

فالقول بالاعمال للفعل مضمرا محذوفا مقدرا لا يعوزه الافصاح والكشف عن مذهب الرجل ومن كلامه ٠

---

(١٨١) الرد على النحاة ص ٧٣ (البنا) ٠
(٨٢) انظر : الاسبق ٠
(١٨٣) مجلة الازهر م ٣٨ ص ٥١٩ / ١٩٦٧ م ٠

● وأما أبو العلاء فليس من السهل أن نحمله مذهبا فى الغـــاء الحذف والتقدير ـ على ما يذهب اليه بعض الدارسين ـ تلمسا لجذور ممتدة لهذه الدعوة التى يدعون اليها أو يحملونها ، وان ما ورد عنه من مثل ما سبق عن الميسور حمله على الاقتصاد فى التقديرات ، ولا يبعد أن يحمل على استرواح أديب .

أما الرجل ـ وقد بلوناه الشاعر العالم ، ، أو العالم الشاعر ـ فهو على درب القوم فى نحوه ، وصرفه وتناوله ومعالجته ، وانظر شيئا من كلامه فى تعليقاته على شعر أبى الوليد البحترى :

يقول البحترى :

فلا بد من نجران تثليث ان نأوا وان قربوا شيئا فنجران لعلعا

يقول أبو العلاء : (نجران لعلع) يجـوز فيها الرفع والنصب : الرفع على تقدير مبتدأ ، والنصب على اضمار فعل) (١٨٤) .

ويقول البحترى :

يا يوسف بن أبى سعيد للتى يدعى أبوك لها وفيها فاسمع

ويقول أبو العلاء : (المعنى : (أدعوك للتى) ، وحسن اضـــمار (أدعوك) لان قوله : (يا يوسف بن أبى سعيد) دعاء ، هذا أحسن ما أضمر ، وقد يجوز أن يضمر غيره من الافعال ، ويقوى أن المضـــمر (أدعوك) قوله فى القافية : (فاسمع)) (١٨٥) .

ويقول أبو الوليد :

اذا ما طراز الشعر وافاه جاءنا غريب طراز السوس سبط الرفارف

---

(١٨٤) عبث الوليد ص ١٣٤ .
(١٨٥) السابق ص ١٣٦ .

فيقول أبو العلاء : (يجوز أن يجعل (غريب طراز السوس) نكرة، كأنه وصف لشيء محذوف) (١٨٦) .

ويقول أبو الوليد - أيضا - :

ان الخليفة ليس يرقب بالذى طالبت الا أن تقول وتفعلا

فيقول أبو العلاء معلقا : (فى الاصل : (طالبت) وهو أصح ، وفى الحاشية (كاتبت) وهو يجوز ، لان (الذى) قد يجعل مع الفعل بمنزلة المصدر ، كما قال : (وخضتم كالذى خاضوا) (١٨٧) ، أى : كخوضهم ، ويجوز أن يكون المعنى على اضمار (فيه) ، كأنه قال : (بالذى كاتبت فيه) ، وعلى هذا تحمل هذه الآية : (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا) (١٨٨) . المعنى : لا تجزى فيه ، وهذا مذهب سيبويه وكان غيره . يذهب الى أن المحذوف الهاء ، كأنه قال : لا تجزيه نفس عن نفس شيئا ، وجعل (اليوم) مفعولا على السعة كما قال :

ويوم شهدناه سليما وعامرا قليل سوى الطعن النهال نوافله

أراد : شهدنا فيه ، وكان بعضهم يحتج « له » ، لان الهاء أولى بأنك تقول : (الذى مررت به أخوك) ، فلا يجوز حذف (به) ، وتقول : (الذى ضربت فلان) ، فيجوز حذف الهاء) (١٨٩) .

وهذا كلام أبى العلاء ، وهو كلام نحويين على درجة واعية من التخصص ، يفىء الى المدرسة التليدة فى الفكر النحوى ، كما يصدر عنها ، ويقوله كما تقول بالحذف والتقدير ، أفيسهل من بعد ذلك أن

---

(١٨٦) نفسه ص ١٤٥ .
(١٨٧) التوبة : ٦٩ .
(١٨٨) البقرة : ١٢٣ .
(١٨٩) عبث الوليد ص ١٩٠ - ١٩١ .

نشايع أو نقرر أن الرجل كان من أوائل الداعين الى الغاء التقديرات ، والتأويلات في النحو ؟

● وأما ابن مضاء فعلى الرغم من أنه أشهر من رفع عقيرته بنحو قضيتنا فقد حمل كلامه كذلك فوق ما يحتمل ، وكان اشارته ـ فيما أشار به ـ كانت تصريحا يجاز به الى ما لا يجاز اليه ، ويعبر به الى ما لا يخوله التصريح .

وانظر قول دارسه : (.. واذا أخذنا نطبق هذه الفكرة عند ابن مضاء على أبواب النحو العربى لاحظنا أنها تريحنا من ثلاثة أشياء ، وهى :

اضمار المعمولات ، وحذف العوامل ، وبيان محل الجمل والمفردات مبنية ، أو مقصورة ، أو منقوصة) (١٩٠) .

وهذا تعجل فى الاستنتاج ، أو تعميم لتصريح خاص ، فالرجل قسم المحذوفات الى ثلاثة :

ـ محذوف لا يتم الكلام الا به ، وقد حذف على عهدة علم المخاطب به ، كقولك لمن رأيته يعطى الناس : (زيدا) . أى : أعط زيدا ، فتحذفه وهو مراد ، وان ظهر تم الكلام به .

ـ ومحذوف لا حاجة للقول به ، كالمقدر فى الاشتغال من نحو : (الكتاب قرأته) .

ـ ومضمر اذا أظهر تغير الكلام عما كان عليه قبل اظهاره ، كما فى النداء : (يا عبد الله) (١٩١) .

---

(١٩٠) مقدمة الرد على النحاة ص ٦١ (ضيف) .
(١٩١) الرد على النحاة ص ٨٩ .

فهو يعترف بالقسم الاول حذفا وتقديرا ، وبالثانى حذفا ولا حاجة الى تقديره ، والثالث لا يرى فيه الحذف لا لفظا ولا نية ، فكانه (المنادى) منصوب من جهة المعنى لا غير ، ولا حذف ولا تقدير ، وهذا قول سبقه اليه الكوفيون ، وتبعهم ابن كيسان وابن الطراوة (١٩٢) .

ولسنا هنا بمعرض مناقشة هذه القضية موضوعا ، فذلك امر مطروح ومتناول (١٩٣) ، وانما نناقشه أساسا من أسس التعبير اللغـــوى ، والتحليل النحوى ، كما نحاول الكشف عن درجته وميزانه ، وهل يمكن الاستغناء عنه ؟

لقد سبق القول : ان النحاة من قديم فهموا طبيعة التراكيب ، فقرروا الحذف عن وجوب ، أو عن جواز لحرف ، أو مفرد ، أو جملة ، أو حركة ، ولا يؤذن بشىء من ذلك على كل حال ما لم يتحقق عنصر الاستغناء عن المحذوف ، اقتصادا واختصارا ، واستنادا على علم المستعمل به ، وقد استنوا له شروطا صارمة أهمها : وجود الدليل الحالى أو المقـالى عليه ، وأن المقدر ينبغى تقليله ـ ما أمكن ـ لتقل مخالفة الاصل (١٩٤) .

ومن ضوابطهم : أن المحذوف لدليل كالثابت ، وأن ما كثر استعماله يتخفف من مئونته باختزاله ، وهو وان حذف فى اللفظ فمراعاته ذهنـا أمر تقتضيه الاصول ، وقد قدمنا بما يرشد الى هذا .

وان يكن الحذف ـ اذن ـ من سمات العربية ، ودلالاتها فالتنـــاول النحوى له أمر تدعو اليه طبيعة فقه العربية ، ومنهاج أساليبها ، وليس كل مستشكل يتخفف منه بتركه وهجره ، وان الاساليب ـ أو اكثرها

---

(١٩٢) انظر : ابن الطراوة النحوى ص ١٥٥ ، والانصاف م ٤٥ ص ٣٢٣ ، وجواهر الادب ص ٣٦٠ .

(١٩٣) انظر : الســـابق ، وشرح الجمل لابن الفخار ص ٦٦٩ (رسالة) .

(١٩٤) المغنى ٢/١٥٦ ـ وما بعدها .

التى يقضى النحاة فيها بالحذف والتقدير تختل دلالتها ان لم يلحظ فيها ذلك المحذوف المقدر ، وان اختلت الدلالة فوظيفة اللغة مطرحة مهدرة .

فالقول بالمحذوف المقدر ليس ترفا من الميسور اغفاله ، وانما هو مقتضى اللغة فقها وتحليلا ، والا فكيف تفهم نحو التراكيب التالية الا على حذف .

يقول سبحانه : (وما منا الا له مقام معلوم) (١٩٥) ، (وأشربوا فى قلوبهم العجل) (١٩٦) . (والى مدين أخاهم شعيبا) (١٩٧) ، (ناقة الله وسقياها) (١٩٨) . (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن : الله) (١٩٩) . (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) (٢٠٠) . ويقول عبيد بن الأبرص :

نحن الألى فاجمع جموعك ثم وجههم الينا

فهى على حذف الموصوف ، والمضاف ، والفعل ، والمعطوف فى الآية الأخيرة : (أى : ومن انفق بعده ، لان الاستواء لا يكون الا بين شيئين) ، والبيت على حذف (عرفوا بالشجاعة) ـ صلة الموصول ، وذلك واضح ويقول العرب : (افعل هذا اما لا) . بحذف (كان مع ركنى الجملة ، والتعويض بـ (ما) ، و (لا) نافية للخبر (٢٠١) قال سيبويه : (... ولكن هذا حذف حين كثر استعمالهم اياه فى الكلام ، كما حذف الكلام من (اما لا) زعم الخليل ـ رحمه الله ـ أنهم أرادوا :

---

(١٩٥) الصافات : ١٦٤ .
(١٩٦) البقرة : ٩٣ .
(١٩٧) هود : ٨٤ .
(١٩٨) الشمس : ١٣ .
(١٩٩) الزمر : ٣٨ .
(٢٠٠)
(٢٠١) انظر : الاشمونى ٢/٢٤٥ (حاشية الصبان) .

(ان كنت لا تفعل غيره) ... ولكنهم حذفوه لكثرته فى الكلام) (٢٠٢). وذلك كثير لا يحصر .

والاعتقاد فى الحذف هو مقتضى بناء الاساليب ، فان أمكن عدم القول به فهو الاولى ، اذ اللجوء اليه ضرورة تقدر بقدرها ، يقول ابن هشام : (أما : (أانتم اعلم أم الله) (٢٠٣) . فلا حاجة الى دعوى الحذف ـ كما قيل ـ لصحة كون (أعلم) خبرا عنهما) (٢٠٤) .

وليس الحذف من سمة صناعة التراكيب وحسب ، بل هو كذلك من منهاج العربية خطا ، اذ يحذف ما يشيع استعماله تخفيفا ، وأنسا بالعلم به ، يقول ابن درستويه : (اعلم أن أكثر ما يحذف من الكتاب (الكتابة) الحروف المكررة ، كراهية اجتماع الاشباه فى الخط ، كما يدغمون المضاعف فى اللفظ استثقالا للتضعيف ، أو حروف المد لاعتلالها وثقلها ... مع كثرتها فى الكلام ... فيستخف بحذفها من الكتاب كما يفعل ذلك فى اللفظ ، وأكثر حروف اللين حذفا الألف ، لضعفها فانها أكثر من غيرها فى الكلام) (٢٠٥) .

هذا شان العربية ، ومسلك النحويين من أساليبها فقها ، وتفسيرا وتوظيفا ، أما الائتناس بمثل منهج ابن مضاء ـ فى بعض مناحيه ـ ، أو منهج الشكليين الوظيفيين فى البحث النحوى فهو أمر لا يبرأ من مخاطرة ، أو مجازفة ، فابن مضاء (عملت على تكوين مذهبه فى النحو عوامل دينية خاصة ، ووجد فى ظروف خاصة ـ أيضا ـ أوصدت أمامه الباب الذى ينفذ منه الى تفهم اللغة ، وقوانينها ، فان هناك عوامل لغوية من تطور ، ودوران فى الاستعمال ، وتأثيرات لفظية يدعو اليها وضع الصوت الى جانب الصوت ، والكلمة الى جانب الكلمة ، وأنه لا ضير

---

(٢٠٢) الكتاب ١٢٩/٢ .
(٢٠٣) البقرة : ١٤٠ .
(٢٠٤) المغنى ١٦٨/٢ .
(٢٠٥) كتاب الكتاب ص ٦٤ .

على اللغة من التأويلات والتقديرات التى تبنى على أساس من فقه اللغة ، وشعور بالحس اللغوى عند أصحاب اللغة أنفسهم ، ولا شك أن دوران جملة أو عبارة الألسنة كثيرا ما ينحو بالجملة الى الاختصار الممكن الذى لا يخل بالمعنى ، أو الى حذف بعض أجزائها التى تغنى عنها القرائن القولية ، أو الحالية .

فتقدير الدارس وتأويله مستأنسا بفهم الأساليب ، أو مدركا للقرائن التى تركها الاستعمال دلائل على الساقط من الجملة ، لا ينفيه البحث اللغوى ، لان اللغة ترجمان للفكر ، وأداة من أدواته ، وان حركة الجملة بترتيب أجزائها وتواليها تتبع حركة الفكر بترتيب صوره وتواليها ، فاذا أسقط الاستعمال بعض أجزاء الجملة بقيت الصور الذهنية مفهومة بالقرائن ، فاذا أول الدارس جملة ، أو عبارة فانما يؤول استئناسا بما تفهمه من مدلول الجملة) (٢٠٦) .

واذ يتقرر هذا بمعايير الدرس النحوى ، وتوجيه الحلول بمقتضى فقه اللغة ، وأعرافها ومناهج بحثها ، فالقول ذاته يجاب على منهج المدرسة الحديثة الشكلية الوصفية ، تلك التى لم تتوقف عن توجيه النقد الى النحو (التقليدى) لهذه القضية بعينها ، فيذكرون أن (أهم صفة للنحو الحديث أنه يستبعد كثيرا من الاصول الفلسفية القديمة ، يستبعد التقديرات العقلية وما اليها من تأويل وتفسير :

ان أهم ما يوصف به النحو الحديث أنه شكلى أو صورى ، انه ينظر الى الصورة اللفظية المختلفة ، تعرضها لغة من اللغات ، ثم يصنفها على أسس معينة ، ثم يصف العلاقات الناشئة بين الكلمات فى الجملة وصفا موضوعيا ، وهو (وظيفى) ، لانه يقوم كذلك على ادراك الدور الذى تقوم به الكلمة فى الجملة) (٢٠٧) .

هذا ما يقرره (الوصفيون) حيال قضية التقدير ، نقدا ورفضا ،

---

(٢٠٦) مدرسة الكوفة ص ٢٦٨ .

(٢٠٧) علم اللغة ـ السعران ـ ص ٢٠٧ .

وقد يعنف نقدهم فى تناولها ، والتربص لها ، على أن هذه القضية قد عادت لتكون شيئا مؤكدا فى التحليل النحوى عند (التحويليين) ، فما يسمى افتراضات أو تقديرات نحوية يمكن أن يفهم فى سياق نظرية عامة تستهدف فهم طبيعة اللغة باعتبارها قدرة انسانية ، ومن ثم كان النظر فى المعنى ملازما لهم عند النظر فى الاشكال والتراكيب (٢٠٨) .

والمنهج الوصفى الشكلى ، أو البنيانى غمز بقصوره عن الوفاء بما تتطلبه اللغة ومشكلاتها ، اذ انه يدرس (المستوى السطحى للكلام ، ولا يغوص فى المستوى العمقى ، ولا يراعى وجود التحويل وهذا المنهج الوصفى التصنيفى لا يفى بالهدف العلمى للدراسة الألسنية ، ذلك أن هذه الدراسة لا تنحصر بدرس المعطيات لذاتها ، بل تتطلب درسها من حيث انها تحتوى على مبادىء تنظيم قواعد ضمنية لا يتيسر اكتشافه عبر عملية المعطيات الظاهرة) وهذه الوصفية (وقد بلغت فى الواقع حدود قدراتها من حيث هى منهجية وصفية ، وثمة قضايا ، ومشكلات لغوية عديدة بقيت دون أن تستطيع معالجتها بصورة وافية ، لابد والحالة هذه من اعتماد المبادىء (التفسيرية) للتوصل الى آلية اللغة ، وارتباطها بالفكر الانسانى .

واذا كان الدرس فى النحو العربى يؤكد الصلة دائما بين شكل التركيب وداخله التقديرى بمقتضى مثالية الصياغة ، فذلك عينه ما يقرره التحويليون من تأكيد الصلات بين بنية السطح ، وبنية العمق استهدافا للدلالة ، وتحرير وظيفة اللغة ، وهم يؤسسون على ضرورة العودة الى المسائل التى أثيرت قديما ، واعادة اكتشافها ، وتبنى منطلقاتها العقلانية ومن مفارزها النظر فى داخل التركيب ، أو البنية العميقة ، وهذه البنية (وان لم تكن ظاهرة فى الكلام أساسية لتفهمه ، وعطائه التفسير الدلالى ، ومما لا شك فيه أن هذه البنية ضمنية ، وتتمثل فى ذهن المتكلم والمستمع ، فهى حقيقة عقلية قائمة يعكسها التتابع الكلامى

---

(٢٠٨) انظر : النحو العربى ص ١٤٩ ، ١٥٧ .

المنطوق الذى يكون (البنية السطحية) ، من هنا ترتبط البنية العميقة بالدلالات اللغوية ، أى أنها تحدد التفسير الدلالى للجمل ، فى حين ترتبط البنية السطحية بالاصوات اللغوية المتتابعة ، وتحدد التفسير الصوتى للجمل) (٢٠٩) .

فالتحويل عملية ، أو عمليات ذهنية تقرن بين البنى العميقة ، والبنى السطحية للجمل . وقد تكشف أن ما تسجله المدرسة التحويلية التى تعد فى عصرنا صاحبة أكثر النظريات الألسنية انتشارا (٢١٠) عند الغربيين ، وتقرره فى نظرياتها اليوم قد توصل اليه الدرس النحوى من زمن سحيق ، وذلك تقرير على يقظة المنهج ، واستوائه .

ولم يبق الا أن نؤكد أن ظاهرة الحذف والتقدير ، وهى من أهم سمات النحو العربى ، وان عارضها الوصفيون وعادت من آكد مقررات التحويليين ليست مقصورة على العربية ، بل هى ظاهرة (مشتركة فى اللغات الانسانية حين يميل المتكلم الى حذف العناصر المكررة ، أو التى يمكن فهمها من السياق ، والطريقة التى يقدمها المنهج التحويلى فى تفسير ظاهرة الحذف هى هى التى قدمها النحو العربى) (٢١١) .

اشكالية الخلاف النحوى

وبقى ما يمس الموضوع بطرف لاصق ، اذ كان من آثار منهج التناول النحوى ، ثم عاد من تبعاته التى ننفذ اليه منها كثيرا اذ من اشكاليات النحو التى فتحت الطريق للانتقادات اليه ما يحفل به من خلافات ، وتعدد فى الرأى وانشعاب فى المسالك والمناحى مما أثقل ، وكلف الطامحين اليه الشقة والعنت وهموم الطريق .

ويرجعون فى أسباب ذلك الى (التعليل) ، فالتعليل ،

---

(٢٠٩) انظر : الألسنية ص ٢٦٦ - ٢٦٩ .
(٢١٠) انظر السابق ص ٢٦١ .
(٢١١) النحو العربى ص ١٤٩ .

والتجريد (*) مسئول عن الخلاف ، اذ التجريد يفتح الباب واسعا أمام وجهات النظر التى تتعدد ، وتتعارض ، أو تتباين ، حيث لا تستند الى واقع محدد .

وقد يرجعون أساس ذلك الى تعدد المصدر اللغوى ، أو الانموذج الذى اعتمده النحويون أساسا فى صوغ النظرية والتقعيد ، فاعتمدوا اللهجات العربية بجانب لهجة قريش كتميم ، وطى ، وغيرهما (٢١٢) وهذه مسئولة عن جزء كبير من الخلاف النحوى . (ولو اقتصروا على لهجة قريش وحدها لتأسيس قواعدهم ، وبناء قوانينهم لخلصوا النحو - على الاقل - من شوائب الخلافات الكثيرة ، وآثار الجدل العنيف التى طغت فيما بعد على المادة النحوية نفسها ، فضاعت هذه المادة الاصلية فى زحمة المناقشات) (٢١٣) . (وهذه الخلافات ، والمناقشات أبعدته عن مفهوم الدرس النحوى كما هو ثابت فى اللغات الأخرى) (٢١٤) .

حتى قيل : (ان نحاة العربية أساءوا الى الدرس النحوى ، وعوصوه بما تعرضوا له من خلافات) (٢١٥) ، والنحو (أصبح ميدانا لخلافات عديدة ، ومناقشات لا طائل تحتها ، وأخذ يدور حول نظريات فلسفية لا صلة لها بالتعبير اللغوى ووظيفته) (٢١٦) .

ومع عدنا الخلاف النحو اشكالية من اشكالياته . فلا يحسن أن يؤسس كثيرا على نحو هذه الحملات ، فقد تكون على مرحلة من ساحة النقد النزيه ، ومرجعها - فيما نظن - المقارنة غير المأمونه للنحو العربى بغيره من أنحاء اللغات الاخرى ، ومن المسلم أن (الدراسة ينبغى

(*) يعنى به : قطع التعلقات الظاهرة .
(٢١٢) انظر : المنطلقات التأسيسية ص ٩٣ .
(٢١٣) دراسات فى اللغة والنحو ص ٧٧ .
(٢١٤) السابق (نفسه) .
(٢١٥) المنطلقات (نفسه) .
(٢١٦) دراسات (ص ٧٦) .

أن تكون من واقع اللغة نفسها .. وعلى الباحث أن يدرك أن لكل لغة أقسامها الخاصة ، ولها تراكيبها المتميزة) (٢١٧) .

ولا ضير - بداية - على النحو أن تختلف فيه وجهات النظر ، فالاختلاف نتيجة اجتهاد تؤمنه طلاقة الفكر ، وان الجمود على القوالب كسل لا يرجى من ورائه ثمرة .

ولقد نعلم أن النحو - على ما يروج الوصفيون - وصف لظاهرة الأداء اللغوى ، فهو يفسر لقانون هذه الظاهرة ، ويستنبط القواعد الحاكمة ، أو يدرك حلول الاصلاح ، أو التقويم ، وطبعى أن يختلف التفسير باختلاف ما يهيأ له من أدوات ، ومشارب وثقافات . (ولما كان اللغوى أو النحوى واصفا محللا دارسا لشىء منظم بطبعه ، جاز أن يختلف تقرير هذا الوصف ، والدرس والتحليل من عالم الى عالم ، حسب الاسس التى يقيم عليها كل درسه ، والمناهج التى يتبعها والوسائل التى يصطنعها) (٢١٨) . ولقد مر بنا من قريب أن كثيرا من نتائج التصور يفىء الى مشاعر خاصة ، وثقافة ذاتية ، أى التكوين النفسى والفكرى معا ، وأنه ان تقاربت المكونات الفكرية عادة بين النحاة ، فان المكونات النفسية تختلف باختلاف الالمام بالمدلولات الحضارية للانسانية ، والاحساس بالقيم الحضارية للجنس ، والاحاطة بالخبرات السابقة . والمعاصرة ، ويترك كل ذلك أثره فى تصور الاهداف ، وما ينبنى عليها من أحكام) (٢١٩) .

وان هذه الاسس تنطبق على منهج التناول على أشهر مدرستين نحويتين وما انشعب عنهما من منازع فالاساس الذى جندته كل مدرسة للتناول صقلته ، وهذبته ، وتحكمت فيه عوامل تبعد ، أو تقرب عما اعتمدته الاخرى ، فكانت النتائج مختلفة حين اختلفت أدواتها ، وهذا

---

(٢١٧) النحو العربى ص ٣٦ .
(٢١٨) علم اللغة - السعران ص ٤٤ .
(٢١٩) انظر : ص ١٣ من البحث وتقويم الفكر النحوى ص ١٢٥ .

طبع لا ينكر ، بل ان الاتجاه اختلف بين عقول المدرسة الواحدة نظـــرا لما وهبة ، وأعد له كل فريق ، وانظر فى البصرة تجد اتجاها متشددا فى القياس والسماع عن العرب كما عند ابن أبى اسحاق ، وتلميذه عيسى بن عمر ، وكانا لا يتحرجان فى تلحين من شهد لهم بالفصاحة كالنابغـــة ، والفرزدق ، لحن الاول الفرزدق فى قوله :

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا

فقال له : كان يجب أن تقول : مولى موال (٢٢٠) ، ولحن تلميذه عيسى النابغة فى قوله :

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة من الرقش فى أنيابها السم ناقع

والوجه عنده أن يكون (السم ناقعا) (٢٢١) .

وثمة اتجاه متساهل فى القياس معظم لما يرد عن العرب ، كعمرو ابن العلاء ، وتلميذه يونس بن حبيب .. روى الأصمعى أنه سمع أعرابيا يقول : (فلان لغوب جاءته كتابى فاحتقرها) (٢٢٢) ، وسال فيها ابن العلاء : (أتقول : جاءته كتابى) ، فقال : أليس بصحيفة ، فحمله على المعنى ، قال عنه يونس (وكان أبو عمرو يسلم للعرب ، ولا يطعن عليها) (٢٢٣) ، وقد اشتهر يونس بأن له قياسا فى النحو ، ومذاهب ينفرد بها (٢٢٤) .

هذا فى المدرسة الواحدة ، فما المتوقع حين تختلف المنازع والثقافات أو البيئات ، وما تختزن من حضارات ؟ ونضيف كذلك أن للتفاوت الزمنى أثره الذى ينطبع على الذاكرة المتصورة ، المصورة ، مما يسفر عن تعدد

---

(٢٢٠) أخبار النحويين ص ٣٢ .
(٢٢١) السابق ص ٤١ .
(٢٢٢)
(٢٢٣) أخبار النحويين ص ٣٥ .
(٢٢٤) انظر : المدرسة البغدادية ص ٥٦ ـ ٥٧ .

الرؤى ، واختلاف الآراء حيال الشيء الواحد ، وقد قيض للنحو العربى أن يحيا ثقافات وبيئات ، وأحقابا متباينة : فى العراق والشام ، ومصر والاندلس ، وما وراء النهر . مذ نشأ حتى أمتد على مدى التاريخ الاسلامى . أو بعد ذلك يستبعد أو ينتقد فى اختلاف ؟

لقد فهمنا أن تعدد النماذج المقدمة فى الرأى تهييء مجالا للتدبر ، والاختبار والاختيار دون التوقف عند فكر متفرد لا يتجاوز ، ولسنا ننكر وزن الخلاف فى نشرية اللغة ، والكشف عن أسرارها ، وتلمس وجه الصواب للنصوص حتى النادر منها . وقد مر قريبا شيء من هذا ، وهو كثير ولا يخفى كذلك ما يعنى الخلاف فى غير النحو من قراءات ، وغيرها .

ان منهج الخلاف وحده انه : (منازعة تجرى بين المتعارضين لتحقيق حق ، أو لابطال باطل) (٢٢٥) .

فالغاية - اذن - نشدان الحقيقة ، وهى ضالة الباحث ، والمتعلم ، وقد عهدنا الخلاف فى ذاته أمرا له ميزانه فى حاسة الفكر الاسلامية ، فالمذاهب الاسلامية - مثلا - متعددة ، وبين أصحاب كل مذهب اختلاف فى التوجه ، بل كأنى أحسب أن كل وجوه نشاط العقل الانسانى من سياسة ، وأدب ، وغيرهما لا تخلو من الاختلاف ، وذلك آية الثراء والتجدد ، وما نظن شكوى أو اتهاما وجه الى شيء منها لما فيه من اختلاف المذهب والقصد ، والنحو كذلك ليس فردا فى بابه ، وانما هو منعطف من هذا الفكر بهمومه وتبعاته .

ونؤكد ما قررنا بالتذكير أن الخلاف النحوى طبيعة عامة أدركها الدارسون فى بعض لغات الزمن القديم ، كما نسجل كذلك أن الطبيعة الخاصة للانموذج المعتمد من النحاة تقرر أن الخلاف بين النحاة العرب نتيجة طبيعية لهذا الانموذج اللغوى المعتمد كذلك .

---

(٢٢٥) التعريفات ص ٣٥ .

● فى العصر القديم أنشأ الاسكندر مدرستين تثقيفتين ، احداهما مدرسة الاسكندرية والاخرى مدرسة برجامون بآسيا الصغرى ، وكانت هاتان المدرستان أشهر ما أسس الاسكندر توجيها للثقافة ، وعرفت كلتاهما الدرس اللغوى ، وقدمتا فيه انتاجا ظل يؤثر على النحو التقليدى فى أوربا قرونا طويلة ، ومع البعد المكانى بين المدرستين كانت بينهما مناظرات ، ومسائل خلافية كثيرة (على أن صورة الخلاف بين المدرستين لا ينبغى أن تغيب عن النظر ، ونحن نفكر فى الكوفة والبصرة اللتين كان الخلاف بينهما مشابها للخلاف بين (برجامون ، والاسكندرية) (٢٢٦) .

● واذا بحثنا فى الطبيعة الخاصة للانموذج العربى المعتمد ، والبيئة التى اعتمدت كذلك للدرس النحوى ألفينا فى خصوصيتهما بذور هذا الخلاف ، على غير ما لمس الدارسون فى أنحاء اللغات الاخرى مما يطمئن الى أن من التعجل المقارنة بين نحو العربية ، وأنحاء غيرها من اللغات (والدراسة ينبغى أن تكون من واقع اللغة نفسها) ـ على ما مر قريبا ـ ، فالمفارقة فى الانموذج والمنهج ثابتة ، والمقارنة معتسفة ، ولا تؤمن نتائجها ، لأمور :

ـ فالقائمون على النحو العربى اهتموا بجمع أشعار قبائل البادية على ما فيها من بعض سمات الاختلاف فى الاداء ، ونوادر التراكيب ، وكان من نتيجته احتضان الذاكرة النحوية لهجات متعددة معترفا بصحتها .

ـ والمنهج الذى اعتمده النحاة فى التعقيد والتقنين لم يترسم أنموذجا أدائيا واحدا فى هذا التقنين ، بل اعتمد غير واحد ، وكان لهذه النماذج التى جمعها حضور ـ على اختلاف فى درجته ـ بين يدى هذا المنهج ، أو على مقربة من مخيلته .

ـ والمقنن النحوى كذلك كان بعيدا عن موطن (الانموذج) ، كما أن

---

(٢٢٦) انظر : النحو العربى ص ٦٤ ـ ٦٥ .

هذا المقنن لم يكن فى بعض صوره عربيا صليبة ، فكان منه الموالى ، وهؤلاء لهم طريقتهم فى التناول والتطبيق ، فاختلف الحقل النحوى فى العربية عنه فى اللغات الاخرى ، ومثلا يقرر علماء اللغات أنه :

- فى اليونانية . وجه اليونانيون همتهم الى أنقى لهجاتها ، وانتخبوها دون سواها أنموذجا يعتدون به ، تلك اللهجة كانت سائدة فى جنوب اليونان حيث (أثينا) ، وهى حاضرة تركزت فيها أوجه النشاط المختلفة من أدب وفن وسياسة واقتصاد ، ولهذا سادت لهجتها اللهجات الاخرى ، فاعتمدها الدارسون نصا أنموذجيا دون غيرها ، كما كان الدارسون لها من البيئة نفسها .

- وفى اللاتينية سادت لهجة منطقة (روما) لظروف سياسية ، واجتماعية ، وجغرافية وثقافية ، فغدت هذه اللهجة أنموذجا للثقافة والادب والادارة ، والسياسة ، وكان لروما ما كان لاثينا حيال لهجة منطقتها ، فتوجهت عناية اللاتينيين لدراسة لهجة المنطقة التى يقيمون فيها بثبر أصواتها ، ومفرداتها وتراكيبها (أى العناصر التى تتكون منها الدراسة النحوية) .

وبذا نشأ النحو اليونانى . واللاتينى فى بيئة خاصة على أيدى علماء يقيمون فى البيئة نفسها ، أو فيما جاورها ، معتبرين اللهجة الأنموذج دون اعتبار باللهجات الأخرى ، وعلى هذا النمط سار منهج الدرس النحوى فى اللغات القديمة (وبقى نفس المنهج فى معالمه وتطبيقه بالنسبة للغات الحديثة) (٢٢٧) .

فهل تحقق مثل ذلك للدرس النحوى العربى ، حتى تتوارى أسباب الخلاف والاختلاف منه ؟

قلنا قريبا : ان الظروف الذاتية للانموذج ، والنص ، ولمتناول النص

---

(٢٢٧) الدراسات ص ٧٩ .

جد بعيدة عما حدث فى غير العربية ، أما فى العربية فالبذور تحمل فى نفسها أجنة الخلاف ، ولا مقنع قويا لامكانية وجوب الاقتناع بلغة قريش أنموذجا ، والتجاوز عما عداها ، وبذا يختفى الخلاف ، أو تخف حدته كثيرا من ساحة الدرس النحوى (٢٢٨) ٠ ، والى ذلك مدخل تقدمت الاشارة اليه ، ويقويه :

- أن العرب لم يبقوا داخل جزيرتهم ، كما لم تبق (مكة) العاصمة السياسية ، والاجتماعية ، والثقافية ٠

- وأن البيئة التى نشأ فيها النحو ليست بيئة الانموذج المعتمد ، ولا بيئة المتكلمين به ، على ما كان الحال فى بيئات اللغات الاخرى - على ما سبق قريبا - ، اذ هى بيئة جديدة بالنسبة للعرب ، وهذه البيئة قد تماوجت ، وتواكبت عليها اخلاط من أجناس مختلفة ، وثقافات متباينة ٠

- وأنه لم يكن من السهل التعامل بلهجة قريش فقط بين جميع القبائل العربية ، وهم لا يقيمون فى البيئة الأصلية للقرشيين ٠

- وأن النحاة - كما قدمنا - لم يكن جميعهم عربا خلصا ، بو كان منهم غير عرب ، وهذه الفئة لم تضع فى اعتبارها لهجة واحدة - وهى لهجة - قريش تؤسس عليها ، فاتخذت من اللهجات التى وصلتها ميدانا للتطبيق عليه (٢٢٩) ٠

- على أن الاعتقاد بأن لهجة قريش هى اللغة المثالية قد ينظر اليه ، فيكشف عن تعارض بينه وبين كثير من المسلمات التى لا مشاحة فيها بين المشتغلين بالدراسات العربية ، وهذه أشار اليها أحد

---

(٢٢٨) المنطلقات ص ٩٣ - وما بعدها ٠

(٢٢٩) انظر الاسبق ٠

الباحثين (٢٣٠) ، بل قد ذهب الى أن النحاة (لم يقبلوا الأخذ عن قريش) ، وهذه موضع نظر وبحث ، وانظرها مع قول الفارابى : (كانت قريش أجود العرب انتقادا للأفصح من الألفاظ واسهلها على اللسان عند النطق ، وأحسنها مسموعا ، وابينها ابانة عما فى النفس ، والذين عنهم نقلت اللغة العربية ، وبهم اقتدى ، وعنهم أخذ اللسان العربى من بين قبائل العرب هم قيس ، وتميم ، وأسد ، فان هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه ، وعليهم اتكل فى الغريب ، وفى الاعراب والتصريف ، ثم هذيل ، وبعض كنانة ، وبعض الطائيين ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم .

وبالجملة فانه لم يؤخذ عن حضرى قط ، ولا عن سكان البرارى مما كان يسكن أطراف بلادهم التى تجاوز سائر الأمم الذين حولهم) (٢٣١) .

فتعدد المستوى اللغوى المعتمد ثابت بأسبابه ، وبذا يتكشف الفرق بين مسلك نحاة العربية ـ عربا وغير عرب ـ فى بيئتهم البعيدة عن موطن الأنموذج ، وبين نظرائهم مع اللغات الأخرى (وكان من نتيجة ذلك وجود الخلافات العديدة بين النحاة فى تخريج النصوص اللغوية على هذه اللهجة ، أو تلك ، فشغلت حيزا غير قليل من كتب النحو ، وأصبح السير عليها سنة يأخذها الخلف عن السلف) (٢٣٢) .

وبعد ففى العزم بقية لوقفة مع المحدثين حيال فرضية الحلول للاشكالية النحوية ، فان لم يسعد اليوم عليها الوقت فالى مبحث لاحق ـ ان شاء الله .

وبالله التوفيق ،،،

---

(٢٣٠) د . تمام حسان : الاصول ص ٧٦ وما بعدها .
(٢٣١) الاقتراح / فجال ص ١٦٢ .
(٢٣٢) الدراسات ص ٨٤ .

المصـــــادر والمراجـــــع

- **أئمة النحاة فى التاريخ**

د . محمود غالى - جدة ١٣٧٦ هـ - ١٩٧٦ م .

- **الألسنية (علم اللغة الحديث)**

د . ميشال زكريا - ط ٢ - بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

- **أحياء النحو**

ابراهيم مصطفى - القاهرة ١٩٣٧ م .

- **أخبار النحويين البصريين - للسيرافى**

ت الزينى ، وخفاجى - القاهرة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م .

- **الارتشاف . لابى حيان**

ت د . مصطفى النحاس - القاهرة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م .

- **الأصول . لابن السراج**

ت . د . عبد الحسين الفتلى - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

- **الأصـــــول**

د . تمام حسان - القاهرة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

- **الاقتراح . للسيوطى**

ت . د . محمود فجال - أبها ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

- **انباه الرواة . للقفطى**

ت . محمد أبو الفضل ابراهيم - القاهرة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

- **الانصاف فى مسائل الخلاف للانبارى**

ت . محمد محيى الدين - القاهرة (بدون) .

- **الايضاح فى علل النحو للزجاجى**

ت . د . مازن المبارك ـ ط ٣ ـ بيروت ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .

- **تجديد النحو ونظرة سواء**

د . أمين سالم ـ القاهرة ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .

- **تطور الدرس النحوى**

حسن عون ـ القاهرة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م .

- **التعريفات . للشريف الجرجانى**

ت . د . عبد الرحمن عميرة ـ ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م .

- **تقويم الفكر النحوى**

د . على أبو المكارم ـ بيروت (بدون) .

- **جواهر الادب للأردبيلى**

ت . د . حامد نيل ـ القاهرة ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .

- **الخصائص . لابن جنى**

ت . د . محمد على النجار ـ بيروت ط ٢ (بدون) .

- **دراسات فى اللغة والنحـو**

د . حسن عون ـ القاهرة ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م .

- **الدراسات النحوية فى بلاد فارس (رسالة دكتوراه) ١٤٠٨**

بهاء عبد الرحمن ـ كلية اللغة بالرياض .

- **الرد على النحاة لابن مضاء**

ت . د . ضيف ١٩٤٧ ؛ د . البنا ـ القاهرة ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .

- **سر الفصاحة . لابن سنان الخفاجى**

ت . عبد المتعال الصعيدى ـ القاهرة ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م .

- **شرح الاشمونى (بحاشية الصبان)**

القاهرة ـ حلبى (بدون) .

- **شرح عيون الاعراب . لابن فضال المجاشعى**
ت . د . حنا جداد ـ الاردن ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م .

- **شرح الكافية . للرضى**
بيروت ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .

- **شرح المفصل . لابن يعيش**
بيروت (بدون) .

- الضوء ـ شرح المصباح ـ للاسفراييني
(خ) مكتبة جامعة الامام محمد بن سعود (رقم ٤٨٧٥) .

- **طبقات النحويين واللغويين . للزبيدى**
ت . محمد ابو الفضل ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .

- **ابن الطراوة النحوى**
د . عياد الثبيتى ـ الطائف ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .

- **عبث الوليد ـ للمعرى**
ت . محمد المدنى ـ ط ٣ ـ الرياض ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م .

- **العربية . ليوهان فك**
ترجمة : د . رمضان عبد التواب ـ القاهرة ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م .

- **علم اللغـــة**
د . محمود السعران ـ بيروت (بدون) .

- **فى اصلاح النحو العربى**
د . عبد الوارث سعيد ـ الكويت ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٥ م .

- **قضايا ومشكلات لغوية**
احمد عبد الغفور عطار ـ جدة ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .

- **كتاب الكتاب . لابن درستويه**

ت . د . ابراهيم السامرائى ، د . الفتلى - الكويت ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧

- **الكتاب . لسيبويه**

ت . عبد السلام هارون - القاهرة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

- **كشف الظنون . لحاجى خليفة**

بيروت (بدون) .

- **الكشف عن وجوه القراءات . المكى بن ابى طالب**

ت . د . محيى الدين رمضان - بيروت ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

- **اللغـــة العربيـــة**

د . نذير حمدان - جدة ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

- **اللغة والنحو بين القديم والحديث . لعباس حسن**

القاهرة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .

- **المحرر فى النحو . لعيسى الهرمى (رسالة)**

ت . د . أمين سالم ١٣٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

- **المدرسة البغدادية**

د . محمود حسنى - بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م .

- **مدرسة الكوفة**

د . مهدى المخزمى - ط ٣ - بيروت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

- **المستوى اللغوى**

د . محمد عيد - القاهرة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

- **المغنى . لابن هشام (بحاشية الامير)**

القاهرة (بدون) .

- **المفتاح فى الصرف . لعبد القاهر الجرجانى**

ت . د . على الحمد - عمان ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

- **المفرد والمؤلف . للزمخشرى**

(انظر : الدراسات النحوية فى بلاد فارس) .

- **المقتضب . للمبرد**

ت . د . عضيمة - القاهرة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

- **مقدمة فى النحو . لخلف الاحمر**

ت . عز الدين التنوخى - دمشق ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .

- **من أسرار اللغة**

د . ابراهيم أنيس - ط ٣ - القاهرة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .

- **المنطلقات التأسيسية والفنية الى النحو العربى**

د . عفيف دمشقية - بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

- **نتائج الفكر . للسهيلى**

ت . د . محمد البنا - القاهرة - ط ٢ - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

- **النحو العربى والدرس الحديث**

د . عبده الراجحى - بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

- **النحو والنحاة بين الازهر والجامعة للشيخ محمد عرفة**

القاهرة ١٩٣٧ م .

- **نحو وعى لغوى**

د . مازن المبارك - بيروت - ط ٢ - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م .

- **النزعة المنطقية فى النحو العربى**

د . عبد الفتاح السرجنى - الكويت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

الدوريـــــات

مجلة الازهر - مجلد ٣٩ - سنة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .

مجلة الفيصل - يناير ١٩٨٥ م .

مجلة كلية اللغة العربية - بالرياض - ع ٦ - ١٣٩٦ هـ - ١٩٨٦ م .